قاعدة عظيمة نافعة في العبادات

والفرق بين شرعيتها وبدعيتها

لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم
ابن تيمية الحراني الدمشقي
المتوفى سنة ٧٢٨ هـ. رحمه الله

تحقيق وتخريج وتعليق

سليمان مسلم الحرش — حسين إسماعيل الجمل

الدار العالمية للكتاب الإسلامي

الطبعة الأولى

١٤١٢هـ - ١٩٩١م



الدار العالمية للكتاب الإسلامي
ص.ب: ٥٥١٩٥ ـ الرياض ١١٥٣٤
هاتف ٤٦٥٠٨١٨ ـ ٤٦٤٧٢١٣ ـ فاكس ٤٦٣٣٤٨٩

قاعدة
عظيمة نافعة
في
العبادات

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. فإن الاشتغال بالعلم من أفضل القربات، وأنفس ما تقضى فيه الأوقات، فمن أخذ به فقد أخذ بحظ وافر، فالعلماء هم ورثة الأنبياء يبينون للناس معالم الحلال والحرام، فهم النجوم في الظلمات، يهتدي بهم الحائرون. وقد حمل هذا العلم من كل خلف عدوله من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وتبع التابعين ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، يقذفون بشهب السنة على الباطل فتدمغه فإذا هو زاهق.

لقد ترك الرسول ﷺ، أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك فبلغ الرسالة وأدى الأمانة

ونصح الأمة، وكشف الله به الغمة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، وعلى ذلك سار أهل القرون الثلاثة المفضلة يئدون كل بدعة مضلة ليكون الدين نقيًا من شوائب الابتداع والتحريف، ومع ذلك فقد وجدت البدع ونبتت معها نابتة يعملون بالبدع ويلبسونها لباس السنة، ويزخرفونها بالقول لتروج على الاغمار والجهال فاتخذوها دينًا يتقربون بها إلى الله تعالى كما يزعمون وثُمَّ الذين عملوا على نشر البدع فريقان:

الأول: فرقة روجت للبدع عن غير علم، غلب عليهم الصلاح، ولم يعتنوا بدراسة الآثار والأحاديث، وغفلوا عن أصول العبادات فاخترعوا رسومًا وهيئات ما أنزل الله بها من سلطان وجعلوها دينًا يدينون الله تعالى بها.

الثانية: فرقة انطوت على الحقد على الإسلام وأهله، فأرادوا عن قصد خبيث ضرب هذا الدين في قواعده وأصوله وعباداته وهيئاته فعمدوا إلى الابتداع في الدين عالمين بما يفعلون قد أجمعوا على هدم الدين وطمس معالمه، فوضعوا على الرسول ﷺ، الأحاديث المكذوبة والموضوعة في العقيدة والعبادات والمعاملات فاختلقوا الآلاف.

فعن هاتين الفرقتين انتشرت البدع، فرقة ابتدعت، وأخرى روت ونشرت، ومع اندراس معالم السنن وظهور الجهل وموت العلماء أصبحت البدعة سنة وصارت السنة

بدعة، وعاد الإسلام غريبًا كما بدأ، ولكن ما كان الله تعالى أن يظهر الباطل على الحق على الدوام، فأقام الله تعالى الطائفة المنصورة تنطق بالحق، تفضح الباطل وأهله في كل قرن وفي كل زمان، حتى لا تخلو الأرض من قائم لله تعالى بالحجة في وجه الابتداع، فصنف العلماء المصنفات القيمة في الرد على المبتدعين، وكشف عوار مذهبهم، وفضح خبث طويتهم في حين صنفت طائفة أخرى من أهل العلم المؤلفات الجيدة في بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة، وبيان طريقتهم ونهجهم، ومن هذين الرافدين العظيمين وهما، الرادون على المبتدعين بدعتهم، والمصنفون في اعتقاد أهل السنة والجماعة حفظ الله تعالى الدين نقيًا خالصًا من شوائب البدعة والابتداع.

ومن أشهر من أقامه الله تعالى للرد على المبتدعين، وبيان عقيدة السلف أهل السنة والجماعة، الإمام العلم شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام ابن تيمية الحراني الدمشقي رحمه الله تعالى، وأجزل له الثواب، فإنه كان شجة في حلوق المبتدعين، بما كان يدفع هؤلاء بصريح الكتاب وصحيح السنة، فقمع الله به البدعة، ونصر الله به السنة، إذ أنه صار على المذهب المنصور، مذهب أهل الحديث والأثر.

ومن أنفس ما كتبه شيخ الإسلام في هذا المضمار رسالته المرسومة بـ (قاعدة عظيمة نافعة في العبادات والفرق بين شرعيتها وبدعيتها) فالرسالة على وجازتها حوت بين صفحاتها أصولاً دقيقة في بيان عمل السلف واجتهادهم في متابعة الرسول ﷺ، في العبادات، وحوت أيضًا حرصهم على حفظ جناب التوحيد من الشرك الذي منشؤه تعظيم آثار الصالحين، وحرصهم أيضًا على عدم التزيد في العبادات بالرسوم والهيئات المبتدعة، ومن ثم فقد وقع الاختيار على هذه الرسالة لنشرها بعد الاطلاع على أصولها الخطية وتحقيقها بما يتفق مع أهمية موضوعها وبابها.

هذا وقد اعتمدنا في تحقيق هذه الرسالة القيمة على النسخ التالية:

١ ـ النسخة الأولى: نسخة خطية من مصورات جامعة الملك سعود عن المكتبة السعودية العامة بالرياض تحت رقم ٨٦/٥٩٤، عدد أوراقها ١٢ ورقة، وعدد سطورها يتراوح ما بين ٢٠ ـ ٢٢ سطرًا وهو الغالب وتاريخ تصويرها ١٦/١٠/١٣٩٥هـ، وخطها نسخ معتاد، وجاء بآخرها بأنها نقلت عن نسخة عليها خط شيخ الإسلام نفسه، ومن ثم جعلنا هذه النسخة هي (الأم) ورمزنا لها (أ)، هذا ولم تتضمن النسخة اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ، وجاءت محتفظة بعنوان المخطوط وهو: قاعدة عظيمة نافعة في العبادات

والفرق بين شرعيتها وبدعيتها، ومحتفظة أيضًا باسم مؤلفها فجاء في أولها ما نصه: أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام ابن تيمية الحراني قال الشيخ رضي الله عنه وأرضاه الحمد لله.. واحتفظت أيضًا النسخة بالخاتمة.

٢ ـ النسخة الثانية، وهي أيضًا من مصورات جامعة الملك سعود عن المكتبة السعودية العامة بالرياض تحت الرقم ٦٨/٦٥٣، عدد أوراقها ١٠ ورقات في كل ورقة من السطور ٢١ ـ ٢٥ سطرًا وكتبت بخط نسخ حسن، وتاريخ تصويرها ١٣٩٥/٧/٤هـ ولم تحتفظ النسخة باسم الناسخ ولا تاريخ النسخ، ابتدأت بقوله، قال الشيخ الإمام أبو العباس أحمد بن تيمية الحراني: الحمد لله وفي خاتمتها تاريخ النسخ وهو ٧٤٩هـ ورمزنا إلى هذه النسخة برمز (ب).

هذا ومن الجدير بالذكر أن هذه الرسالة القيمة قد نالت الاهتمام من المشتغلين بالعلم فأول من نشرها ـ فيما نعلم ـ هو الشيخ المجاهد محمد رشيد رضا رحمه الله ضمن مجموعة (الرسائل والمسائل) واحتلت صفحات ٢٤٣ ـ ٢٧١ وتلاه الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن قاسم النجدي في مجموعة (مجموعة فتاوى شيخ الإسلام) وجاءت هذه الرسالة ضمن الجزء الحادي عشر المسمى بعلم السلوك واحتلت صفحات ٣٨٨ ـ ٤٢١.

ثم أفردها الأخ بدر بن عبدالله البدر بالتخريج والنشر عن مطبوعة الشيخ محمد رشيد رضا وبتعليقات الشيخ رشيد نفسه.

ولكن يلاحظ على هذه النشرات المطبوعة للرسالة أنها جاءت كلها ناقصة بمقدار صفحتين من الأصل المخطوط وقد أثبتنا صورة هذا النقص ضمن الصور الخطية فلم تتم الفائدة من نشر هذه الرسالة، وقد جاءت مطبوعتنا هذه ـ والحمد لله ـ متلافية لهذا النقص حيث أنها اعتمدت على أصول خطية لا على أصول مطبوعة مما يجعل هذه الرسالة متميزة عن كل ما سبق نشره منها، فالحمد لله على التوفيق.

عملنا في التحقيق:

١ ـ قمنا بنسخ المخطوط الأم، ورمزنا له بحرف (أ).

٢ ـ أثبتنا الزيادات التي تفردت بها النسخة (ب) في متن الأصل ووضعنا الزيادة بين معكوفين ونبهنا على ذلك في الهامش.

٣ ـ تخريج الآيات القرآنية في هامش الأصل.

٤ ـ تخريج الأحاديث النبوية في الرسالة، ولا يقدر هذا العمل إلا من عانى التخريج.

٥ ـ ترجمنا تراجم موجزة في الهامش للأعلام المذكورين في الرسالة مع عمل إحالة لهؤلاء الأعلام لمن أراد التوسع.

٦ ـ قمنا بالتعليق في المواضع التي رأينا أنها تحتاج إلى ذلك.

٧ ـ صدرنا الرسالة بترجمة موجزة للإمام ابن تيمية مع ذكر مصادر الترجمة.

هذا ونرجو أن نكون بهذا العمل قد وفينا الرسالة حقها من التحقيق والتخريج مما لا يدع مجالاً للمزيد، ولا يفوتنا أن نشكر الأخوين الفاضلين الدكتور محمد مكي السباعي رئيس قسم المكتبات بجامعة الملك سعود، والاستاذ أبو زكريا يوسف الحجي رئيس قسم المخطوطات بجامعة الملك سعود، فقد قدما كل عون مشكور في الحصول على المصورتين، فجزاهما الله خيراً.

والله تعالى نسأل أن يجعل عملنا خالصًا لوجهه، صالحًا ليوم لقائه إنه سميع مجيب.

المحققان



قاعدة عظيمة في [illegible] والفرق
بين شرعيها وبدعيها تصنيف الشيخ الإمام العالم العلامة شيخ الإسلام
بقية السلف الكرام أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن
عبد السلام بن تيمية الحراني [illegible]
إنه قريب مجيب قال الشيخ رضي الله عنه [illegible] الحمد لله نحمده ونستعينه
ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا
من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ونشهد أن لا إله
إلا الله وحده لا شريك له ونشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى
ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا [illegible] وأنه لا
[illegible] الأمة وكشف الغمة وجاهد في الله حق جهاده وعبد
الله حتى أتاه اليقين من ربه صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما
فصل في العبادات والفرق بين شرعيها وبدعيها فإن
هذا باب كثر فيه الاضطراب كما كثر في باب الحلال والحرام فإن أقواما
استحلوا بعض ما حرمه الله وأقواما حرموا بعض ما أحل الله تعالى وكذلك
أقواما أحدثوا عبادات لم يأذن الله بها بل نهى عنها وأصل الدين أن الحلال ما أحله
الله ورسوله في كتابه والحرام ما حرمه الله ورسوله في كتابه [illegible]
يخرج عن الصراط المستقيم الذي بعث الله به رسوله قال الله تعالى وأن هذا
صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم
به لعلكم تتقون. وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه خط خطا وخط خطوطا عن يمينه وشماله ثم قال هذا
سبيل الله وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم قرأ وأن هذا

اللوحة الأولى من نسخة (أ).



اللوحة الأخيرة من نسخة (أ).

أول السقط من نسخة (أ).

آخر السقط من نسخة (أ).

اللوحة الأولى من نسخة (ب).

فإنه لا يأكل منه شيئاً أو تبيت لبعضه ... فيهم من لم يعرف ... [illegible]
وكان فيهم من هو مكذب بالخبر الذي قلنا معناه أن هذا النصيب وهذه العطية والهبة
ولكان سببها قد ... [illegible] ... هو طاعة لم يشرعها الرسول فهو مثل من يقول تعالى ...
من الخبر ... هذا المال أو عظم هذا الصنم ... هذه الولاية ... [illegible]
يكون سببه للنذر لغير الله سبحانه وتعالى مثل أن ينذر للصنم أو كنيسة أو قبر أو نجم أو شيخ ونحو ذلك
من النذور التي فيها شرك فإذا أشرك بالنذر فقد يعطيه الشيطان بعض حاجته كما تقدم في السحر
وهذا بخلاف النذر لله تعالى فإنه ثبت في الصحيحين عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى
عن النذر وقال إنه لا يأتي بخير وإنما يستخرج به من البخيل وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم نحوه وفي رواية فإن النذر يلقي ابن آدم إلى القدر فهذا المنهي عنه هو النذر الذي
يجب الوفاء به ... ولكن إذا كان قد عقده فعليه الوفاء به كما في صحيح البخاري عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه قال من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه وإنما
نهى عنه صلى الله عليه وسلم لأنه لا فائدة فيه إلا التزام ما التزمه وقد لا يوفي به فيبقى آثماً
وإذا فعل تلك العبادات بلا نذر كان خيراً له والناس يقصدون بالنذر تحصيل مطالبهم
فبين النبي صلى الله عليه وسلم أن النذر لا يأتي بخير فليس النذر سبباً في حصول مطلوبهم وذلك أن
الناذر إذا قال لله علي إن حفظني الله القرآن أن أصوم مثلاً ثلاثة أيام أو إن عافاني الله
من هذا المرض أو إن دفع الله هذا العدو أو إن قضى عني هذا الدين فعلت كذا فقد جعل
العبادة التي التزمها عوضاً عن ذلك المطلوب والله سبحانه لا يقضي تلك الحاجة لمجرد تلك
العبادة المنذورة بل ينعم على عبده بذلك المطلوب ليبتليه أيشكر أم يكفر وشكره يكون
بفعل ما أمره به وترك ما نهاه عنه وأما تلك العبادة المنذورة فلا تقوم بشكر تلك النعمة
ولا ينعم الله تلك النعمة لعبده العبد بتلك العبادة المنذورة التي كانت مستحبة فصارت واجبة لأنه
سبحانه لم يوجب تلك العبادة ابتداء بل هو يرضى من العبد بأن يؤدي الفرائض ويجتنب المحارم لكن هذا
الناذر يكون قد ضيع كثيراً من حقوق الله ثم بذل ذلك النذر لأجل تلك النعمة وتلك النعمة
أجل من أن ينعم الله بها لمجرد ذلك المنذور المحتقر وإن كان المبذول كثيراً والعبد مطيع لله
فهو أكرم على الله من أن يجعل له ذلك المبذول الكثير فليس النذر سبباً لحصول مطلوبه كالدعاء فإن
الدعاء من أعظم الأسباب وكذلك الصدقة وغيرها من العبادات جعلها الله تعالى سبباً لحصول الخير و
دفع الشر إذا فعلها العبد ابتداء وأما ما يفعله على وجه النذر فإنه لا يجلب منفعة ولا يدفع عنه مضرة لكنه
كان بخيلاً فلما نذر لزمه ذلك فالله تعالى يستخرج بالنذر من البخيل فيعطي على النذر ما لم يكن يعطيه
بدونه والله أعلم تمت والحمد لله وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين

اللوحة الأخيرة من نسخة (ب).

فقال أتريدون أن تتخذوا آثار أنبيائكم مساجد إنما هلك من كان قبلكم بهذا
من أدركته فيه الصلاة فليصل فيه وإلا فليمض. وهكذا للناس قولان فيما فعله من
المباحات على غير وجه القصد هل متابعته فيه مباحة فقط أو مستحبة على قولين في
مذهب أحمد وغيره كما قد بسطنا ذلك في موضعه ولم يكن ابن عمر ولا غيره من الصحابة
يقصدون الأماكن التي كان ينزل فيها ويبيت فيها مثل بيوت أزواجه ومثل مواضع
نزوله في مغازيه وإنما كان الكلام في مشابهته في صورة الفعل فقط وإن كان هو لم
يقصد التعبد به فأما الأمكنة نفسها فالصحابة متفقون على أنه لا يعظم منها إلا ما عظم
الشارع فضله * وأما قصد الصلاة والدعاء والعبادة في مكان لم يقصد الأنبياء
فيه الصلاة والعبادة بل روي أنهم مروا به ونزلوا فيه أو سكنوه فهذا كما تقدم لم يكن ابن
عمر ولا غيره يفعله فإنه ليس فيه متابعتهم لا في عمل عملوه ولا قصد قصدوه ومعلوم
أن الأمكنة التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يحل فيها إما في سفره وإما في مقامه مثل طرقه
في حجه وغزواته ومنازله في أسفاره ومثل بيوته التي كان يسكنها والبيوت التي كان
يأتي إليها أحيانا من بيوت أصحابه والأماكن التي كان يحل فيها مثل نزوله لما حاصر قريظة
والنضير وبقاع متعددة عند الصحابة والتابعين فلو كانوا يقصدون إتيان هذه
البقاع للصلاة فيها والدعاء ونحو ذلك لكان هذا ظاهرا بينهم بل لم يكن فيهم من يفعل
ذلك وأبلغ من ذلك أن يرى أحدهم في المنام مكانا أن يقصد الصلاة والدعاء والعبادة
في ذلك المكان فهذا لم يفعله أحد من السلف وهذا مثل أن يريد شخص كل مكان
مر به النبي صلى الله عليه وسلم أو نزل فيه أن يصلي فيه ويدعو مثل أن يقصد جميع حجر
نسائه فيصلي في كل حجرة ويدعو لما كانت الحجرة باقية لم تدخل في المسجد أو يقصد
منزله في حصاره قريظة والنضير والخندق فيصلي فيه ويدعو أو يقصد حجر
الأنصار التي قيل إنه دخلها فيصلي فيه ويدعو أو يقصد الدار التي قيل إنه ولد
فيها أو دار الأرقم التي كان فيها هو وأصحابه فيصلي فيها ويدعو أو يقصد

* أول السقط من نسخة (ب).

او يقصد غار المرسلات التي كان فيها لما نزلت عليه سورة المرسلات او مكان البيعة الذي
بايع فيه اصحابه خلف العقبة او يقصد مكانا يقال انه اجتاز بها ابراهيم الخليل مثل مكان
بحران ومكان بحلب ومكان بدمشق واماكن يقال انه كان بها عيسى ابن مريم مثل ربوة دمشق
والبيت المقدس او بمصر او غارا قيل انه كان به نبي او قتل به نبي مثل غار بجبل قاسيون يقال انه
قابيل فهذه المواضع التي يقال انه مر بها نبي او نزل بها نبي من غير ان يقصد النبي العبادة
بها هذا لم ينقل عن احد من الصحابة انه كان يقصد هذه البقاع للصلاة فيها بل نقل انه
انهم لما قصدوا الشجرة التي بايع النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه تحتها امر بها عمر رضي الله عنه
فقطعت وكذلك بناء المساجد على هذه البقاع من غير ان يكون هناك جماعة يصلون
فيه الصلوات الخمس بل تبنى للصلاة ممن يزور تلك البقعة هذا لم يكن على عهد الصحابة بل عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه نهى ان يقصد الصلاة في المكان الذي صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم
لكونه هو لم يقصد الصلاة فيه لخصوصه بل صلى فيه لكونه كان نازلا فيه بحكم الاتفاق فكان
اتباع سنته صلى الله عليه وسلم ان يصلي الرجل في اي مكان نازلا فيه لانه كان اذا نزل منزلا صلى
فيه فاما ان يقصد الصلاة فيه من ليس هو منزله فهذا الذي كره عمر رضي الله عنه ونهى الناس عنه
لانه مخالفة له ليس متابعة له فكيف اذا كان المكان انما مر به او نزل به او سكنه لقد ثبت
عنه من غير وجه انه لعن الذين اتخذوا قبور الانبياء والصالحين مساجد وقال لعن الله
اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد يحذر ما فعلوا وفي الصحيح عنه انه قال
قبل ان يموت بخمس ان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد الا فلا تتخذوا القبور
مساجد فاني انهاكم عن ذلك فهذه نصوصه الصريحة توجب تحريم اتخاذ قبورهم
مساجد مع انهم مدفونون فيها وهم احياء في قبورهم ويستحب اتيان قبورهم للسلام
عليهم ومع هذا يحرم اتيانها للصلاة عندها واتخاذها مساجد ومعلوم ان هذا انما
نهى عنه لانه ذريعة الى الشرك واراد ان تكون المساجد خالصة لله تعالى تبنى لاجل عبادته
فقط لا يشركه في ذلك مخلوق فاذا بنى المسجد لاجل ميت كان حراما فكذلك اذا كان

لاثر احد

اخر السقط من نسخة (ب).

ترجمة المؤلف[1]
(٦٦١ ـ ٧٢٨هـ)

نسبه :

هو أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم بن تيمية الحراني الدمشقي الحنبلي أبو العباس، تقي الدين شيخ الإسلام.

مولده :

كان مولده في (حران الجزيرة) ـ بينها وبين الرقة من مدن شمال سوريا يومان ـ سنة (٦٦١هـ) في اليوم العاشر من ربيع الأول.

سيرته :

قدم إلى دمشق صغيراً مع أبيه شهاب الدين طلبًا للعلم، فنبغ في علوم كثيرة، وقل أن سمع شيئًا إلا حفظه فصار إمامًا في التفسير وعلومه، أعرف بالمذاهب الفقهية من أصحابها

---

(١) انظر مزيد ترجمة له في: الدرر الكامنة ١/١٤٤. تذكرة الحفاظ ٤/١٤٩٦. البداية والنهاية ١٤/١٣٥، الأعلام للزركلي ١/١٤٤. فوات الوفيات ١/٣٥ ـ ٤٥. النجوم الزاهرة ٩/٢٧١. هدية العارفين ٥/١٠٥.

الذين عاصروه، وبرع في الوقوف على اختلاف العلماء، وجمع أقـوالهم والتحرير فيها والنظر في أدلتها وبيان الراجح منها، عالمًا بالأصول والفروع، والنحو واللغة، والعقائد والفرق لقد اجتمعت لابن تيمية صفـات حميدة اعـترف له بها جهـابذة العلم والفضـل ممن عاصروه، أو جاءوا بعـده، فقـد عرف بالـذكاء والنباهة والحفظ منذ الصغر حتى أصبح إمامًا قبل بلوغ الثلاثين من عمره. وما تكلم معه عالم في فن إلا ظن أن ذلك الفن لا يجيد غيره، بالإضافة إلى ذلك فقد كان داعية إصـلاح في الـدين، عمـل على رد شبهـات المغـرضـين والمبتـدعـين، فقـد ناظر العديد منهم، وكان مؤيدًا من الله تعالى، قوله من الكتاب والسنة ومنهج الأئمة، عاش رحمه الله بعلمه مع واقعه وعصره، فترجم علمه إلى عمل دائب دائم، وتعداه إلى جهاد في سبيل الله، فبالإضافة إلى علمه وزهده وورعه فقد كان شجاعًا مقدامًا لا يخشى في الله لومة لائم، يقف في وجـه الـظلم أيًّا كان صاحبـه وحـامل لوائه نصرة للحق، همه الأوحد نصرة هذا الدين والذود عنه لأجل ذلك ذاق ألوانًا عديدة من العذاب والكيد والسجن والتشريد فقد عمل خصومه على النيل منه. ودبروا له المكائد حتى قصد مصر فتعصب عليه جماعة من أهلها فسجن بها مدة، ونقل إلى الإسكندرية، ثم أطلق فسافر إلى دمشق واعتقل بها سنة (٧٢٠هـ) وأطلق ثم أعيد، ومات معتقلاً بقلعة دمشق.

شيوخــه :

أخذ رحمه الله العلم عن شيوخ أفاضل منهم :

الشيخ ابن عبـدالـدائم، والقـاسم الأربلي، والمسلم بن علان، وابن أبي اليسر، وابن عبدان، والشيخ شمس الدين الحنبـلي، والشيخ شمس الـدين بن عطاء الحنفي، والشيخ جمال الـدين بن العـيرفي، ومجـد الدين بن عساكر، والشيخ جمال الدين البغدادي، والنجيب بن المقداد، وابن أبي الخير، والكـمال عبـدالـرحيم، وابن شيبان، والشرف بن القواس، وخلق كثير. والتقى بابن دقيق العيد واعترف له بالفضل.

تلاميــذه :

تلاميذ ابن تيمية من الكثرة بحيث لا يحصون ولا يعدون في بلاد الشام ومصر وفلسطين وسوف نقتصر في هذه الترجمة السريعة على ذكر أشهر تلاميذه وهم شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية صاحب التصانيف العديدة والعلوم المفيدة منها مدارج السالكين، وزاد المعـاد، المتوفى سنة ٧٥١هـ. والحافظ شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عبدالهادي المقدسي صاحب الصارم المنكي في الرد على السبكي وكتاب العمدة في الحفاظ والمتوفى سنة ٧٤٤هـ، وعماد الدين إسماعيل بن عمر أبو الفداء المعروف بابن كثير صاحب التفسير، والبداية والنهاية، المتوفى سنة ٧٧٤هـ.

ومنهم الحافظ الذهبي مفيد الشام ومؤرخ الإسلام ناقد المحدثين وإمام أهل الجرح والتعديل شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان التركماني صاحب تاريخ الإسلام، وسير أعلام النبلاء، وميزان الاعتدال، المتوفى سنة ٧٤٨هـ.

ومنهم أيضًا ابن الوردي، وزين الدين أبو حفص عمر الحراني، وشمس الدين أبو عبدالله محمد بن مفلح وغيرهم.

العصر الذي عاش فيه المؤلف

إن عصر ابن تيمية كان عصرًا كثرت فيه البدع والخرافات وتفشت الباطنية وانتشر الجهل والتعصب والتقليد، وتعرضت فيه بلاد المسلمين إلى الهجمات الحاقدة على المسلمين من قبل التتار والصليبيين.

ونلمس ذلك من خلال ما وصل إلينا من مؤلفاته رحمه الله تعالى والتي تتلخص في الجوانب التالية:

١ ـ فقد صنف في أهل البدع والاعتقادات الفاسدة في الرد عليها وكشف زيفها وانحرافها.

٢ ـ صنف في الرد على الفلاسفة وأهل الكلام والإلحاد والجدل.

٣ ـ مواقفه المحمودة من الرافضة على اختلاف فرقهم ومشاربهم.

٤ ـ الدعوة إلى العودة بالمسلمين إلى الأصول الثابتة من الكتاب والسنة إذ كان عصر ابن تيمية عصر أحداث عظام في الهجمات الحاقدة على الإسلام من الخارج والتخبطات والانحرافات في العقائد والمذاهب التي مزقت الأمة من الداخل.

مكانته عند العلماء:

لقد شهد لابن تيمية جمع غفير من علماء الأمة سواء من

المعاصرين له والذين جاءوا بعده نذكر منهم:

ابن سيد الناس يقول فيه: (ألفيته ممن أدرك من العلوم حظًّا، وكاد أن يستوعب السنن والآثار حفظًا). إن تكلم في التفسير فهو حامل رايته، أو أفتى في الفقه فهو مدرك غايته، أو ذاكر في الحديث فهو صاحب علمه أو حاضر في الملل والنحل لم تر أوسع من غلته في ذلك. . . .[1].

وابن دقيق العيد يقول: (لما اجتمعت بابن تيمية رأيت رجلا العلوم كلها بين عينيه يأخذ منها ما يريد ويدع ما يريد). . .[2].

وابن الوردي يقول: (حضرت مجالس ابن تيمية فإذا هو بيت القصيدة وأول الخريدة ـ اللؤلؤة قبل ثقبها ـ علماء زمانه فلك هو قطبه وجسم هو قلبه. يزيد عليهم زيادة الشمس على البدر والبحر على القطر قال ينشده:

ان ابن تيمية في كل العلوم واحد
أحييت دين أحمد وشرعه يا أحمد

ابن قيم الجوزية قال في ترجمته لابن تيمية: (شيخ الإسلام والمسلمين القائم ببيان الحق، ونصرة الدين، الداعي إلى الله ورسوله، المجاهد في سبيله).

---

(١) العقود الدرية لابن عبدالهادي ص ٢٦.

(٢) الكواكب الدرية.

الحافظ الذهبي قال فيه: (شيخ الإسلام مفتي الفرق، قدوة الأمة، أعجوبة الزمان، بحر العلوم، حبر القرآن، تقي الدين، سيد العباد، أبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية (رضي الله عنه).

الحافظ المزي قال فيه: (ما رأيت مثله، ولا رأى هو مثل نفسه، وما رأيت أحدًا أعلم بكتاب الله وسنة رسوله ولا أتبع لهما منه).

وغيرهم ممن ذكروا فضله وعلمه وورعه وزهده..[1].

تصانيفه:

أما تصانيفه ففي الدرر الكامنة لابن حجر ذكر أنها ربما تزيد على أربعة آلاف كراسة، وفي الوفيات أنها تبلغ ثلاثمائة مجلد منها:

١ ـ السياسة الشرعية. ٢ ـ الفتاوى الكبرى في خمس مجلدات.

٣ ـ الايمان. ٤ ـ منهاج السنة. ٥ ـ درء تعارض العقل والنقل.

٦ ـ الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان.

٧ ـ الواسطة بين الحق والخلق. ٨ ـ التوسل والوسيلة.

---

(١) انظر الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية. للشيخ مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي. بتحقيق وتعليق نجم عبدالرحمن خلف.

٩ ـ الصارم المسلول.

١٠ ـ اقتضاء الصراط المستقيم. ١١ ـ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح.

١٢ ـ الرد على المنطقيين. ١٣ ـ بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية.

وغيرها من الكتب والرسائل القيمة. وقد جمع الشيخ ابن عروة الحنبلي الكثير من مؤلفات الشيخ الإمام في كتابه الكواكب الدراري في ترتيب مسند الإمام أحمد على أبواب البخاري[1].

وفاتـــه:

توفي ابن تيمية في قلعة دمشق بالقاعة التي كان محبوسًا بها وخرجت دمشق تشيعه إلى مقبرة الصوفية فدفن إلى جانب أخيه شرف الدين عبدالله رحمهما الله، وكانت وفاته ليلة الاثنين لعشرين خلت من ذي القعدة سنة ٧٢٨هـ.

المحققان

الرياض ٢٠/ ١١/ ١٤١١هـ

---

(١) انظر معجم المؤلفين كحالة ٧/ ٧٤.

قاعدة عظيمة نافعة في العبادات والفرق بين شرعيتها وبدعيتها مما جمعه الشيخ الإمام العالم العلامة شيخ الإسلام بقية السلف الكرام أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية الحراني، رفع الله قدره، وجدد ذكره في الدنيا والآخرة إنه قريب مجيب.

قال الشيخ رضي الله عنه وأرضاه: (الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله[1]، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدًا، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الغمة، وجاهد في الله حق جهاده، وعبد الله مخلصًا حتى أتاه اليقين من ربه صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين)[2].

---

(١) هذه خطبة الحاجة التي علمها رسول الله ﷺ، أصحابه وهي تعرف أيضًا بخطبة النكاح، أخرجها أحمد ١/٣٩٢ و٣٩٣ و٤٠٨ و٤٣٢ و٤٣٧ وأبو داود في النكاح باب في خطبة النكاح ٢/٢٣٨، والنسائي في الجمعة باب كيفية الخطبة ٣/١٠٥، والدارمي في النكاح باب في خطبة النكاح ٢/١٤٢ كلهم من طرق عن ابن مسعود بإسناد صحيح، وفي الباب عن ابن عباس رواه ابن ماجه في النكاح باب خطبة النكاح ١/٦١٠.

(٢) زيادة من نسخة (ب).



فصـــــل
في العبادات والفرق بين شرعيها وبدعيها

فإن هذا باب كثر فيه الاضطراب كما كثر في باب الحلال والحرام، فإن أقوامًا استحلوا بعض ما حرمه الله، وأقوامًا حرموا بعض ما أحل الله تعالى، وكذلك أقوامًا أحدثوا عبادات لم يشرعها الله تعالى بل نهى عنها في كتابه. وأصل الدين أن الحلال ما أحله الله ورسوله في كتابه، والحرام ما حرمه الله ورسوله والدين ما شرعه الله ورسوله[1]. ليس لأحد أن يخرج عن الصراط المستقيم الذي بعث الله به رسوله، قال الله تعالى: **﴿وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾**.[2].

وفي حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ، أنه خط خطًّا، وخط خطوطًا عن يمينه وشماله، ثم قال: (هذه سبيل الله، وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان

---

(١) زيادة من نسخة (ب).

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.

يدعو إليه، ثم قرأ: ﴿**وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون**﴾)[1].

وقد ذكر الله تعالى في سورة الأنعام والأعراف وغيرهما ما ذم به المشركين حيث حرموا مالم يحرمه الله تعالى، كالبحيرة والسائبة[2] واستحلوا ما حرمه الله كقتل أولادهم، وشرعوا دينًا لم يأذن به الله، فقال تعالى: ﴿**أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله**﴾[3].

ومنه أشياء هي محرمة جعلوها عبادات، كالشرك والفواحش، مثل الطواف بالبيت عراة[4] وغير ذلك.

والكلام في (الحلال والحرام) له مواضع أخر.

والمقصود هنا العبادات فنقول:

---

(١) رواه الإمام أحمد ١/٤٣٥ ـ ٤٦٥، والحاكم ٢/٢٣٩، والطبري ٨/٦٥ والطيالسي (٢٤٤) من حديث ابن مسعود. وله شاهد من حديث جابر والنواس بن سمعان.

(٢) أ ـ البحيرة: كانوا إذا ولدت إبلهم سقبا بحروا أذنه: أي شقوها وقالوا: اللهم إن عاش ففتى، وإن مات فذكى، فإذا مات أكلوه وسموه البحيرة.
ب ـ السائبة: أصله من تسييب الدواب وهو إرسالها تذهب وتجيء كيف شاءت فلا تمنع من ماء ولا مرعى ولا تحلب ولا تركب.

(٣) سورة الشورى، الآية: ٢١.

(٤) البيت هو الكعبة: وقد كانوا في الجاهلية يطوفون بها عراة حتى جاء الإسلام فحرم ذلك.

العبادات التي يتقرب بها إلى الله تعالى (منها ما كان محبوبًا لله ورسوله، مرضيًا لله ورسوله، إما واجب وإما[1] مستحب، كما في الصحيح عن النبي ﷺ، أنه قال فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى[2]: (ما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع، وبي يبصر وبي يبطش، وبي يمشي، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءلته ولابد له منه)[3].

---

(١) زيادة من (ب).

(٢) زيادة من (ب).

(٣) رواه البخاري في الرقاق ٣٤٨/١١ والبغوي في شرح السنة ١٩/٥ والبيهقي في الأسماء والصفات ٦٢٣ كلهم من حديث أبي هريرة.
وفي الباب عن عائشة رواه أحمد ٢٥٦/٦ بلفظ (من أذل لي وليا. . .) وللحديث طرق كثيرة عن أبي أمامة وعن علي وعن ابن عباس وعن أنس وعن حذيفة وعن معاذ بن جبل، انظر الفتح ٣٤٩/١١، أما ما أثبته شيخ الإسلام بزيادة (فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي) فقد نبه الحافظ في الفتح ٣٥٢/١١ إلى أن هذه الزيادة من كلام الطوفي فقال: وقع في رواية (فبي يسمع وبي يبطش وبي يمشي) قال الاتحادية: زعموا أنه على حقيقته وأن الحق عين العبد واحتجوا بمجيء جبريل في صورة دحية قالوا فهو =

ومعلوم أن الصلاة منها فرض: وهي الصلوات الخمس، ومنها نافلة: كقيام الليل. (وكذلك الصيام فيه فرض وهو صوم شهر رمضان، ومنه نافلة كصيام ثلاثة أيام من كل شهر)[1]، وكذلك السفر إلى المسجد الحرام فرض، وإلى المسجدين الآخرين مسجد النبي ﷺ، وبيت المقدس مستحب، وكذلك الصدقة منها ما هو مفروض ومنها ما هو مستحب، وهو العفو كما قال تعالى: ﴿**ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو**﴾[2].

وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ، أنه قال: (يا ابن آدم! إنك إن تنفق الفضل خير لك، وإن تمسكه شر لك، لا تلام على كفاف، واليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول)[3].

والفرق بين الواجب والمستحب له موضع آخر غير هذا،

= روحاني خلع صورته وظهر بمظهر البشر قالوا: فالله أقدر أن يظهر في صورة الوجود الكلي أو بعضه تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا.

(١) زيادة من (ب).

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٩.

(٣) رواه مسلم في الزكاة باب: بيان أن أفضل الصدقة صدقة الصحيح الشحيح ٢/٧١٦.
وأحمد: ٥/٢٦٢، والترمذي ٤/٤٩٥ وقال: حسن صحيح، كلهم من حديث أبي أمامة.

والمقصـود هنا الفرق بين ما هو مشروع سواء كان واجبًا أو مستحبًّا وماليس بمشروع.

فالمشروع هو الذي يتقرب به إلى الله تعالى، وهو سبيل الله، وهو البر والطاعة والحسنات والخير والمعروف، وهو طريق السالكين، ومنهاج القاصدين والعابدين وهو الذي يسلكه كل من أراد الله وسلك طريق الزهد والعبادة، وما يسمى بالفقر والتصوف[1] ونحو ذلك.

---

(١) ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى ١١/٥ وما بعده: أما لفظ الصوفية فإنه لم يكن مشهورًا في القرون الثلاثة وأنه نسبة إلى لبس الصوف وذكر عن محمد بن سيرين أنه بلغه أن قومًا يفضلون لباس الصوف فقال: إن قومًا يتخيرون الصوف يقولون أنهم متشبهون بالمسيح ابن مريم، وهدي نبينا أحب إلينا وكان النبي ﷺ، يلبس القطن وغيره.

والصواب للمسلم أن يعلم أن خير الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وخير القرون القرن الذي بعث فيه، وأن أفضل الطرق والسبل إلى الله ما كان عليه هو وأصحـابه فمن جعل طريق أحد من العلماء والفقهاء أو طريق أحد بحق العباد أو النساك أفضل من طريق الصحابة فهو مخطىء ضال مبتدع.

أمـا الفقـر فقد بينه شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى أيضًا ١١/٢٨. فقال: (ولا ريب أن لفظ الفقر في الكتاب والسنة وكلام الصحابة والتابعين وتابعيهم لم يكونوا يريدون به نفس طريق الله، وفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه والأخلاق المحمودة ولا نحو ذلك، بل الفقر عندهم ضد الغنى والفقراء هم الذين ذكرهم الله في قوله: ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين﴾. وفي قولـه: ﴿للفقـراء الـذين أحصروا في سبيل الله﴾. وفي قولـه: ﴿للفقـراء =

ولا ريب أنه تدخل فيه الصلوات المشروعة واجبها ومستحبها، ويدخل في ذلك قيام الليل المشروع، وقراءة القرآن على الوجه المشروع، والأذكار والدعوات الشرعية وما كان من ذلك كالتلاوة «موقتًا كطرفي النهار، وما كان متعلقًا بسبب كتحية المسجد[1] وسجود التلاوة»[2]، [3] وصلاة

= المهاجرين الذي أخرجو من ديارهم وأموالهم﴾. والغني: هو الذي لا يحل له أخذ الزكاة أو الذي تجب عليه الزكاة أو ما يشبه ذلك لكن لما كان الفقر مظنته الزهد طوعًا أو كرهًا إذ من العصمة أن لا تقدر وصار المتأخرون كثيراً ما يقرنون بالفقر معنى الزهد، والزهد قد يكون مع الغنى وقد يكون مع الفقر، ففي الأنبياء والسابقين الأولين ممن هو زاهد مع غناه كثير. والزهد المشروع ترك ما لا ينفع في الدار الآخرة، وأما كل ما يستعين به العبد على طاعة الله فليس تركه من الزهد المشروع بل ترك الفضول التي تشغل عن طاعة الله ورسوله هو المشروع. أهـ.

والأجدر بالمسلم أن يتبع ما جاء عن النبي ﷺ، حيث أن الاتباع هو الأسلم. والله تعالى أعلم.

(١) تحية المسجد هي: ركعتان تؤدى عند الدخول إلى المسجد وقبل الجلوس، فقد روى الجماعة عن أبي قتادة أن النبي ﷺ، قال: (إذا جاء أحدكم المسجد فليصل سجدتين من قبل أن يجلس).

(٢) سجود التلاوة: أن من قرأ آية سجدة، أو سمعها يستحب له أن يسجد سجدة بعد قراءتها هذا يسمى سجود التلاوة ولا تشهد فيه ولا تسليم.

(٣) زيادة من (ب).

الكسـوف[1]، وصـلاة الاستخـارة[2]، ومـا ورد في الأذكـار والأدعية الشرعية في ذلك وهذا يدخل فيه أمور كثيرة وفي ذلك

---

(١) صلاة الكسوف: اتفق العلماء على أن صلاة الكسوف سنة مؤكدة في حق الرجال والنساء، وأن الأفضل أن تصلى في جماعة وإن كانت الجماعة ليست شرطًا فيها ينادى لها (الصلاة جامعة) والجمهور من العلماء على أنها ركعتان في كل ركعة ركوعان. أنظر فقه السنة ١/١٨٨.

(٢) صلاة الاستخـارة: يسن لمن أراد أمـرًا من الأمور المباحة والتبس عليه وجه الخير فيه أن يصلي ركعتين من غير الفريضة ولو من السنن الراتبة أو تحية المسجد في أي وقت من الليل أو النهار يقرأ فيها بما شاء بعد الفاتحة ثم يدعو بالدعاء الذي رواه البخاري من حديث جابر رضي الله عنه، قال: (كان رسول الله ﷺ، يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن يقول: إذا هم أحـدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل: (اللهم استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، أو قال عاجل أمري وآجله، فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعـاشي وعاقبة أمري، أو قال عاجل أمري فاصرفه عني، واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان ثم أرضني به) قال: ويسمي حاجته عند قوله: اللهم إن كان هذا الأمر.

ونقول: ثم يشرع في الأمر الذي استخار الله تعالى فيه، فإن يسر الله أسبابه فهو علامة على قبوله ومحبته، وإن كانت الأخرى فعلى المسلم أن يرضى بما قدره الله سبحانه وتعالى له. وعليه ألا يعتمد في ذلك على ما يراه من رؤى بل عليه أن يأخذ بالأسباب المشروعة وهذه هي الطريقة الشرعية في الاستخارة.

من الصفات ما يطول وصفه، وكذلك يدخل فيه الصيام الشرعي كصيام نصف الدهر وثلثه أو ثلثيه أو عشره، وهو صيام ثلاثة أيام من كل شهر، (ويدخل فيه السفر الشرعي، كالسفر إلى مكة وإلى المسجدين الآخرين)[1]، ويدخل فيه الجهاد على اختلاف أنواعه، وأكثر الأحاديث النبوية في الصلاة والجهاد ويدخل فيه قراءة القرآن على الوجه المشروع.

و«العبادات البدنية» أصولها: الصلاة والصيام والقراءة التي جاء ذكرها من الصحيحين في حديث عبدالله بن عمرو بن العاص، لما أتاه النبي ﷺ وقال: (ألم أحدث أنك قلت لأصومن النهار، ولأقومن الليل، ولأقرأن القرآن في ثلاث! قلت: بلى! قال: فلا تفعل، فإنك إذا فعلت ذلك هجمت له العين، ونفهت له النفس، ثم أمره بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، فقال: إني أطيق أفضل (فانتهى به إلى صوم يوم وفطر يوم فقال: إني أطيق أفضل من ذلك)[2] فقال: لا أفضل من ذلك وقال: أفضل الصيام صيام داود ـ عليه السلام ـ[3] كان يصوم يومًا ويفطر يومًا (ولا يفر إذا لاقى)[4]، وأفضل القيام قيام داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه، وأمره أن يقرأ القرآن في سبع[5].

---

(١) زيادة من (ب).

(٢)، (٣)، (٤) زيادة من (ب).

(٥) رواه البخاري في التهجد: ٤٦/٣ وفي كتاب الصوم باب صوم داود =

ولما كانت هذه العبادات هي المعروفة قال في حديث الخوارج الذي في الصحيحين: (يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية)[1].

فذكر اجتهادهم بالصلاة، والصيام والقراءة، وأنهم يغلون في ذلك حتى تحقر الصحابة عبادتهم في جنب عبادة هؤلاء، وهؤلاء غلوا في العبادة بلا فقه، فآل الأمر بهم إلى البدعة فقال: (يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، أينما وجدتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجرًا عند الله[2] لمن قتلهم يوم القيامة). فاستحلوا دماء المسلمين، وكفروا من خالفهم، وجاءت فيهم الأحاديث الصحيحة. قال الإمام أحمد بن حنبل[3] - رضي الله عنه -: صح فيهم الحديث من

= ٢٦٤/٤. وفي أحاديث الأنبياء باب قوله تعالى: وآتينا داود زبورًا ٥٢٣/٦. ومسلم في الصوم باب: النهي عن الصوم الدهر ٣٩/٨ - ٤٠. وأحمد ١٨٨/٢ - ١٨٩ كلهم من حديث عبدالله بن عمرو.

(١) رواه البخاري في فضائل القرآن ٧١٨/٨. وفي استتابة المرتدين ٢٩٥/١٢، ومسلم في الزكاة، باب إعطاء المؤلفة ١٦٤/٧ - ١٦٥ والإمام أحمد ٣٣/٣ - ٣٤ كلهم من حديث أبي سعيد الخدري، أما قوله: (وقراءته مع قراءتهم) فلم نجدها بهذا اللفظ في مظانها.

(٢) زيادة من (ب).

(٣) هو الإمام أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني أبو عبدالله صاحب =

عشرة أوجه وقد أخرجها مسلم في صحيحه، وأخرج البخاري قطعة منها.

ثم هذه الأجناس الثلاثة مشروعة ولكن يبقى الكلام في القدر المشروع منها وله صنف (كتاب الاقتصاد في العبادات) وقال أبي بن كعب وغيره: اقتصاد في سنة، خير من اجتهاد في البدعة[1].

والكلام في سرد الصوم وصيام الدهر سوى يوم العيد وأيام التشريق وقيام جميع الليل، هل هو مستحب، كما ذهب إلى ذلك طائفة من الفقهاء والصوفية، والعباد، أو هو مكروه كما دلت عليه السنة وإن كان الصوم جائزًا، لكن صوم يوم وفطر يوم أفضل، وقيام ثلث الليل أفضل، ولبسطه موضع آخر.

= المسند وإمام أهل السنة في عصره، ولد في بغداد سنة ١٦٤هـ، وطلب العلم بها ثم رحل إلى الكوفة والبصرة ومكة والمدينة واليمن والشام والجزيرة طلبًا للعلم، ونبغ وبرع وصار إمامًا لأهل الحديث، قال إبراهيم الحربي: رأيت أحمد كأن الله جمع له علم الأولين والآخرين، وقال الشافعي خرجت من بغداد وما خلفت بها رجلًا أفضل ولا أعلم ولا أفقه ولا أتقى من أحمد بن حنبل، مات في بغداد يوم الجمعة اثنتي عشر خلت من ربيع الأول من سنة ٢٤١هـ.

(١) ورد عن أبي بن كعب: (اقتصاد في سنة خير من اجتهاد في غير سنة) رواه أحمد في الزهد ص ١٩٦ - ١٩٧، وأبو نعيم في الحلية ١/٢٥٢ - ٢٥٣.
وورد عن ابن مسعود بفظ: (الاقتصاد في السنة أحسن من الاجتهاد في البدعة) أخرجها الحاكم في المستدرك ١/١٠٣، والدارمي ٢٢٣، وابن عبدالبر في الجامع ٢/١٨٨.

والمقصود هنا الكلام في أجناس عبادات غير مشروعة حدثت في المتأخرين كالخلوات فإنه يشبه بالاعتكاف الشرعي. والاعتكاف الشرعي في المساجد كما كان النبي ﷺ، يفعله هو وأصحابه من العبادات الشرعية.

وأما الخلوات فبعضهم يحتج فيها بتحنثه[1] بغار حراء[2] قبل الوحي وهذا خطأ فإن ما فعله ﷺ، قبل النبوة إن كان قد شرعه بعد النبوة فنحن مأمورون باتباعه فيه وإلا فلا وهو من حين نبأه الله تعالى لم يصعد بعد ذلك إلى غار حراء ولا خلفاؤه الراشدون. وقد أقام صلوات الله عليه بمكة قبل الهجرة بضع عشر سنة، ودخل مكة في عمرة القضاء، وعام الفتح أقام بها قريبًا من عشرين ليلة، وأتاها في حجة الوداع، وقام بها أربع ليال، وغار حراء قريب منه ولم يقصده.

وذلك أن هذا كانوا يأتونه في الجاهلية ويقال: أن عبدالمطلب هو سن لهم إتيانه لأنه لم تكن لهم هذه العبادات الشرعية التي جاء بها صلوات الله وسلامه عليه بعد النبوة كالصلوات والاعتكاف في المساجد فهذه تغني عن إتيان حراء بخلاف ما كانوا عليه قبل نزول الوحي، فإنه لم يكن يقرأ بل

(١) التحنث: هو التعبد الليالي ذوات العدد.

(٢) حِراء بالكسر والتخفيف والمد: جبل من جبال مكة على ثلاثة ميال، وهو معروف، وكان النبي ﷺ، قبل أن يأتيه الوحي يتعبد في غار من هذا الجبل.

قال له الملك عليه السلام: (إقرأ) قال صلوات الله عليه وسلامه فقلت: لست بقارىء[1] ولا كانوا يعرفون هذه الصلوات، ولهذا لما صلاها النبي ﷺ، نهاه عنها من نهاه من المشركين، كأبي جهل قال الله تعالى: ﴿**أرأيت الذي ينهى عبدًا إذا صلى أرأيت إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى أرأيت إن كذب وتولى ألم يعلم بأن الله يرى كلا لإن لم ينته لنسفعن بالناصية، ناصية كاذبة خاطئة، فليدع ناديه، سندع الزبانية، كلا لا تطعه واسجد واقترب**﴾[2].

(وطائفة) يجعلون الخلوة أربعين يومًا ويعظمون أمر الأربعينية، ويحتجون فيها بأن الله تعالى واعد موسى عليه السلام ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر، وقد روي[3]: أن موسى عليه السلام صامها وصام المسيح أيضًا أربعين لله تعالى وخوطب بعدها فيقولون يحصل بعدها الخطاب والتنزل كما يقولون في غار حراء حصل بعده نزول الوحي.

---

(١) رواه البخاري في كتاب بدءى الوحي ١/ ٣٠ وفي التفسير ٨/ ٥٨٥، وفي التعبير، باب أول ما بدأ به رسول الله ﷺ، ١٢/ ٣٦٨، ومسلم في الإيمان باب بدأ الوحي إلى رسول الله ﷺ ٢/ ١٩٧، وأحمد ٦/ ٢٣٢ ـ ٢٣٣ وانظر الدر المنثور ٨/ ٥٦١.

(٢) العلق ٩ ـ ١٩.

(٣) انظر الطبري ٩/ ٣٢، وابن كثير ٢/ ٢٤٣، والدر المنثور ٣/ ٥٣٤.

وهذا أيضًا غلط فإن هذه ليست من شريعة محمد ﷺ، بل شرعت لموسى عليه السلام كما شرع له السبت والمسلمون لا يسبتون[1]، وكما حرم في شرعه أشياء لم تحرم في شرع محمد ﷺ، فهذا تمسك بشرع منسوخ، وذاك تمسك بما كان قبل النبوة.

وقد جرّب أن من سلك هذه العبادات البدعية أتته الشياطين، وحصل لهم تنزل شيطاني، وخطاب شيطاني، وبعضهم يطير به شيطانه، وأعرف من هؤلاء عددًا طلبوا أن يحصل لهم من جنس ما حصل للأنبياء من التنزل فنزلت عليهم الشياطين، لأنهم خرجوا عن شريعة النبي ﷺ، التي أمروا بها. قال تعالى: ﴿**ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون، إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئًا، وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض، والله ولي المتقين**﴾[2].

---

(١) أخذ الله العهد والميثاق على أهل القرية من تعظيم يوم السبت ألا يصطادوا فيه فتحيلوا في ذلك واعتدوا بأن نصبوا الحبائل قبل يوم السبت، فإذا جاءت الحيتان وقعت في تلك الحبائل فيأخذونها بعد انقضاء السبت، فوقعوا بهذا الفعل في المعصية لمخالفتهم أمر الله تعالى فمسخهم الله تعالى إلى صورة القردة. انظر ابن جرير الطبري ١/٢٦١، وابن كثير ١/١٠٥، والدر المنثور ١/١٨٤.

(٢) سورة الجاثية، الآية: ١٨.

وكثير منهم لا يجد للخلوة مكانًا ولا زمانًا بل يأمر الإنسان أن يخلو في الجملة ثم صار أصحاب الخلوات فيهم من يتمسك بجنس العبادات الشرعية: الصلوات والصيام والقراءة والذكر وأكثرهم يخرجون إلى أجناس غير شرعية، فمن ذلك طريقة أبي حامد[1] ومن تبعه، وهؤلاء يأمرون صاحب الخلوة أن لا يزيد على الفرض، لا قراءة ولا نظرًا في حديث نبوي ولا غير ذلك، بل قد يأمرونه بالذكر ثم يقولون ما يقوله أبو حامد: ذكر العامة (لا إله إلا الله) وذكر الخاصة (الله، الله) وذكر خاصة الخاصة (هو، هو)[2].

والذكر بالاسم المفرد مظهرًا ومضمرًا بدعة في الشرع، وخطأ في القول واللغة، فإن الاسم المجرد ليس هو كلامًا لا إيماناً ولا كفرًا.

وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ، أنه قال: (أفضل

---

(١) هو محمد بن محمد الغزالي الطوسي أبو حامد المتوفى سنة ٥٠٥هـ صاحب كتاب إحياء علوم الدين الفقيه الشافعي.

(٢) هذا التقسيم في الذكر إلى ذكر العامة، وذكر خاصة الخاصة، إنما هو تقسيم بدعي لم يرد فيه عن الرسول ﷺ، ولا عن صحابته ولا عن القرون المفضلة من بعده نص صحيح، ولا ضعيف، بل هو أمر حادث في الدين، وقد قال النبي ﷺ: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد). والنصوص التي وردت في ذم الابتداع كثيرة ورحم الله من قال: (اتبعوا ولا تبتدعوا، فقد كفيتم). انظر الفتاوى ١٠/٣٢٦ وما بعدها ففيها زيادة إيضاح حول هذا الجانب الاعتقادي المهم.

الكـلام بعد القرآن أربع، وهي من القرآن: سبحان الله، والحمد لله، ولا إلـه إلا الله، الله أكبر)(١). وفي حديث آخر: (أفضل الذكر لا إلـه إلا الله)(٢).

وقال: (أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير)(٣). والأحاديث في فضل هذه الكلمات كثيرة صحيحة.

وأمـا ذكر الاسم المفرد فبدعة لم تشرع وليس هو بكلام

---

(١) رواه مسلم في الآداب، باب: كراهة التسمية بالأسماء القبيحة ١١٧/١٤ وأحمـد ١١/٥ ـ ٢٠، وابن ماجـه ١٢٥٣/٢ كلهم من حديث سمرة بن جندب، رواه أحمد ٣٦/٤ عن بعض أصحاب النبي ﷺ، مرفوعًا بنحوه وقد علقه البخاري في صحيحه: كتاب الايمان والنذور، باب: إذا قال والله لا أتكلم اليوم ٥٧٥/١١.

(٢) رواه الترمذي في الدعوات، باب أن دعوة المسلم مستجابة، ٤٣١/٥ وقال هذا حديث غريب، وابن ماجه في الأدب باب فضل الحامدين ١٢٤٩/٢ كلهم من حديث جابر، وفي إسناده موسى بن إبراهيم بن كثير الأنصاري قال عنه الحافظ في التقريب: صدوق يخطىء وحسنه الشيخ ناصر الألباني، انظر صحيح ابن ماجه ٣١٩/٢ الصحيحة رقم (١٤٩٧).

(٣) رواه الإمام مالك في الموطأ كتاب القرآن، ٢٤١/١، وفي الحج، ٤٢٢/١ مرسـلًا وقـال ابن عبدالبر: وقد جاء مسندًا من حديث علي وابن عمرو. وحديث ابن عمرو الذي أشار إليه رواه الترمذي في الدعوات باب: في دعاء يوم عرفة ٥٣٤/٥ بزيادة (له الملك وهو على كل شيء قدير) وقال الترمذي: هذا حديث غريب، والحديث حسن بشواهده انظر السلسلة الصحيحة ٦/٤.

يعقل ولا فيه إيمان ولهذا صار بعض من يأمر به من المتأخرين يبين أنه ليس قصدنا ذكر الله تعالى ولكن جمع القلب على شيء معين حتى تستعد النفس لما يرد عليها، فكان يأمر مريده بأن يقول هذا الاسم مرات، فإذا اجتمع قلبه ألقى عليه حالاً شيطانيًا فيلبسه الشيطان، ويخيل إليه أنه قد صار في الملأ الأعلى، وأنه أعطي مالم يعطه محمد ﷺ، ليلة المعراج، ولا موسى عليه السلام يوم الطور، وهذا وأشباهه وقع لبعض ممن كان في زماننا.

وأبلغ من ذلك من يقول: ليس مقصودنا إلا جمع النفس بأي شيء كان، حتى يقول لا فرق بين قولك: يا حي! وقولك يا حجر! وهذا مما قاله لي شخص منهم وأنكرت ذلك عليه، ومقصودهم بذلك أن تجتمع النفس حتى ينزل فيها الشيطان.

ومنهم من يقول: إذا كان قصدنا واحدًا وقاصد ومقصود فاجعل الجميع واحدًا فيدخله في أول الأمر في وحدة الوجود[1].

---

(١) وأهل وحدة الوجود هم القائلون بأن وجود المخلوق هو عين وجود الخالق، وقولهم هذا تعطيل للصانع وجحود له وهو جامع لكل شرك، والحلول عندهم نوعان: فقوم يقولون بالحلول المقيد في بعض الأشخاص، وقوم يقولون بحلوله في كل شيء تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا. انظر مجموع الفتاوى ١٠ / ٥٩.

وأما أبو حامد وأمثاله ممن أمروا بهذه الطريقة فلم يكونوا يظنون أنها تفضي إلى الكفر ـ لكن (ينبغي أن يعرف أن البدع بريد الكفر ـ ولكن)[1] أمروا المريد أن (ينزع)[2] قلبه من كل شيء حتى يأمـروه أن يقعد في مكان مظلم يغطي رأسه ويقول الله، الله، وهم يعتقدون أنه إذا فرغ قلبه استعد بذلك فينزل على قلبـه من المعـرفة ما هو المطلوب، بل قد يقولون: إنه يحصل له من جنس ما يحصل للأنبياء.

ومنهم من يزعـم أنه حصل له أكثر مما حصل للأنبياء، وأبو حامد يكثر من مدح هذه الطريقة في (الاحياء)[3]، وغيره كما أنه يبالغ في مدح الزهد[4]، هذا من بقايا الفلسفة عليه، فإن المتفلسفة كابن سينا[5] وأمثاله يزعمون أن كل ما يحصل في

---

(١) زيادة من (ب).

(٢) وفي ب يفرغ.

(٣) انظر (إحياء علوم الدين) (٣/ ٨٤ ـ ٩٨) كتاب كسر الشهوتين.

(٤) انظر (إحياء علوم الدين) (٤/ ١٨٩ ـ ٢٤١) كتاب الفقر والزهد.

(٥) ابن سينا: هو الحسين بن عبدالله بن سينا، أبو علي شرف الملك والفيلسوف الرئيس، صاحب التصانيف في الطب والمنطق، والطبيعيات، والإلهيات، أصله من بلخ، ومولود في إحدى قرى بخارى ومات في أصفهان، قال ابن القيم الجوزيه: كان ابن سينا كما أخبر عن نفسه هو وأبوه من أهل دعوة الحاكم من القرامطة الباطنيين. وقال ابن تيمية: (تكلم ابن سينا في أشياء من الإلهيات والنبوات، والمعاد، والشرائع، لم يتكلم بها سلفه ولا وصلت إليها عقولهم ولا بلغتها علومهم إن كان إنما يأخذ عن الملاحدة المنتسبين إلى =

القلوب من العلم للأنبياء وغيرهم، فإنما هو من العقل الفعال، ولهذا يقولون: النبوة مكتسبة، فإذا تفرغ صفى قلبه عندهم وفاض على قلبه من جنس ما فاض على الأنبياء، وعندهم أن موسى بن عمران ﷺ، كلم من سماء عقله، لم يسمع الكلام من خارج، فلهذا يقولون أنه يحصل لهم مثل ما حصل لموسى وأعظم مما حصل لموسى.

و(أبو حامد) يقول: (إنه سمع الخطاب كما سمعه موسى عليه السلام، وإن لم يقصد بالخطاب، وهذا كله لنقص إيمانهم بالرسل، وأنهم آمنوا ببعض ما جاءت به الرسل وكفروا ببعض، وهذا الذي قالوه باطل من وجوه.

(أحدها): أن هذا الذي يسمونه (العقل الفعال) باطل لا حقيقة له مما بسط الكلام في موضوع آخر.

(الثاني): أن ما جعله الله في القلوب يكون تارة بواسطة الملائكة إن كان حقًّا، وتارة بواسطة الشياطين إن كان باطلاً، والملائكة والشياطين أحياء ناطقون كما قد دلّت على ذلك الدلائل الكثيرة من جهة الأنبياء، وكما يدعي ذلك من باشره من أهل الحقائق وهم يزعمون أن الملائكة والشياطين صفات لنفس الإنسان فقط، وهذا ضلال عظيم.

= المسلمين، كالاسماعلية وكان أهل بيته من أهل دعوتهم من أتباع الحاكم العبيدي الذي كان هو وأهل بيته معروفين عند المسلمين بالإلحاد. الاعلام للزركلي ٢/٢٤١، وفيات الأعيان ٢/١٥٧.

(الثالث): أن الأنبياء جاءتهم الملائكة من ربهم بالوحي، ومنهم من كلمه الله فقربه وناداه، كما كلم موسى عليه السلام لم يكن ما حصل لهم مجرد فيض كما يزعمه هؤلاء.

(الرابع): أن الإنسان إذا فرغ قلبه من كل خاطر، فمن أين يعلم أن ما يحصل فيه حق؟ هذا إنما يعلم بعقل أو سمع وكلاهما لم يدل على ذلك.

(الخامس): أن الذي قد علم بالسمع والعقل أنه إذا فرغ قلبه من كل شيء حلت فيه الشياطين فتنزلت عليه الشياطين، كما كانت تنزل على الكهان، فإن الشيطان إنما يمنعه من الدخول إلى قلب ابن آدم ما فيه من ذكر الله تعالى الذي أرسل به رسله، فإذا خلا ذلك تولاه الشيطان قال تعالى: ﴿**ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانًا فهو له قرين، وأنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون**﴾[1].

وقال الشيطان فيما أخبر الله عنه: ﴿**فبعزتك لأغوينهم أجمعين، إلا عبادك منهم المخلصين**﴾[2]

وقال تعالى: ﴿**إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين**﴾[3]. والمخلصون هم الذين يعبدونه

---

(١) سورة الزخرف، الآيتان: ٣٦، ٣٧.

(٢) سورة ص، الآيتان: ٨٢، ٨٣.

(٣) سورة الحجرات، الآية: ٤٢.

وحده لا يشركون به شيئًا، وإنما يعبد (الله)[1] بما أمر به على السنة رسله، فمن لم يكن كذلك تولته الشياطين.

وهذا باب دخل فيه أمر عظيم على كثير من السالكين، واشتبهت عليهم الأحوال الرحمانية بالأحوال الشيطانية، وحصل لهم من جنس ما حصل للكهان والسحرة وظنوا أن ذلك من كرامات أولياء الله المتقين كما قد بسط الكلام على هذا في غير هذا الموضوع[2].

(السادس): أن هذه الطريقة لو كانت حقًّا فإنما تكون في حق من لم يأته رسول، فأما من أتاه رسول وأمره بسلوك طريق فمن خالفه ضل.

وخاتم الرسل قد أمر أمته بالعبادات الشرعية من صلاة وذكر ودعاء وقراءة، لم يأمرهم قط بتفريغ القلب من كل خاطر وانتظار ما ينزل.

فهذه الطريقة لو قدر أنها طريق لبعض الأنبياء لكانت منسوخة بشرع محمد ﷺ، فكيف وهي طريقة جاهلية لا توجب الوصول إلى المطلوب إلا بطريقة الاتفاق بل يقذف الله تعالى في قلب العبد إلهامًا ينفعه، وهذا قد يحصل لكل أحد ليس هو من لوازم هذه الطريقة.

ولكن التفريغ والتخلية التي جاء بها الرسول أن يفرغ قلبه

---

(١) زيادة من (ب).

(٢) انظر قاعدة في المعجزات والكرامات من مجموع الفتاوى ١١/٣١١ - ٣٦٢.

مما لا يحبه الله ويملؤه بما يحبه الله، فيفرغه من عبادة غير الله، ويملؤه بعبادة الله، وكذلك يفرغه من محبة غير الله ويملؤه بمحبة الله، وكذلك يخرج عنه خوف غير الله، ويدخل فيه خوف الله تعالى وينفي عنه التوكل على غير الله، ويثبت فيه التوكل على الله، وهذا هو الإسلام المتضمن للإيمان الذي يمده القرآن ويقويه لا يناقضه وينافيه، كما قال جندب وابن عمر: (تعلمنا الإيمان ثم تعلمنا القرآن فازددنا إيمانًا)[1].

وأما الاقتصار على الذكر المجرد الشرعي مثل قوله: (لا إلـه إلا الله) فهذا قد ينتفع به الإنسان أحيانًا، لكن ليس هذا الذكر وحده هو الطريق إلى الله تعالى دون ما عداه، بل أفضل العبادات البدنية الصلاة ثم القراءة، ثم الذكر ثم الدعاء، والمفضول في وقته الذي شرع فيه أفضل من الفاضل، كالتسبيح في الركوع والسجود فإنه أفضل من القراءة، ثم قد يفتح على الإنسان في العمل المفضول مالا يفتح عليه في العمل الفاضل. وقد تيسر عليه هذا دون هذا فيكون هذا أفضل في حقه لعجزه عن الأفضل، كالجائع إذا وجد الخبز المفضول ميسرًا عليه، والفاضل متعسرًا عليه فإنه ينتفع بهذا الخبز المفضول، (ويشبعه)[2] واغتذاؤه به حينئذ أولى.

---

(١) رواه ابن ماجه في المقدمة باب في الإيمان ١/٢٣ وقال البوصيري في الزوائد: إسناد هذا الحديث صحيح، رجاله ثقات.

(٢) زيادة من (ب).

(**السابع**): أن أبا حامد يشبه ذلك بطريق الصين والروم، على تزويق الحائط فأولئك صقلوا حائطهم حتى يمثل فيه ما صقله هؤلاء، وهذا قياس فاسد، لأن هذا الذي فرغ قلبه لم يكن هنالك قلب آخر يحصل له به كما حصل لهذا الحائط من هذا الحائط، بل هو يقول: إن العلم منقوش النفس الفلكية المسمى بذلك (اللوح المحفوظ) (تبعًا لابن سينا)[1].

وقد بينا في غير هذا الموضع أن (اللوح المحفوظ)[2] الذي ذكره الله تعالى ورسوله ليس هو النفس الفلكية، وابن سينا ومن تبعه أخذوا أسماء جاء بها الشرع ووضعوا لها مسميات مخالفة لمسميات صاحب الشرع، ثم صاروا يتكلمون بتلك الأسماء فيظن الجاهل أنهم يقصدون بها ما قصده صاحب الشرع، فأخذوا مخ الفلسفة وكسوه لحاء الشريعة. وهذا كلفظ (الملك) و(الملكوت) و(الجبروت) و(اللوح المحفوظ) و(الملك) و(الشيطان) و(الحدوث) (والقدم) وغير ذلك.

وقد ذكرنا من ذلك طرفًا في الرد على (الاتحادية) لما ذكرنا قول ابن سبعين وابن عربي وما يوجد في كلام أبي حامد ونحوه من أصول هؤلاء الفلاسفة الملاحدة والذين يحرفون كلام الله ورسوله عن موضعه، كما فعلت القرامطة الباطنية.

---

(١) زيادة من (ب).

(٢) زيادة من (ب).

والمقصود هنا أنه لو كانت العلوم تنزل على القلوب من النفس الفلكية كما يزعم هؤلاء فلا فرق في ذلك بين الناظر والمستدل والمفرغ قلبه، فتمثيل ذلك بنقض أهل الصين والروم مثل باطل.

ومن أهل هذه الخلوات من لهم أذكار معينة، وقوت معين، ولهم تنزلات معروفة قد بسط الكلام عليها ابن عربي الطائي[1] ومن سلك طريقه كالتلمساني.

وهي تنزلات شيطانية قد عرفتها وخبرت ذلك من وجوه متعددة، ولكن ليس هذا موضوع بسطها، وإنما المقصود التنبيه على الجنس المذكور.

---

(١) هو محمد بن علي بن محمد بن عربي أبو بكر الحاتمي الطائي الأندلسي فيلسوف من أئمة المتكلمين في علم الكلام ولد في مرسيه بالأندلس سنة ٥٦٠هـ أنكر عليه أهل الديار المصرية (شطحات) صدرت عنه فعمد بعضهم على إراقة دمه كما أريق دم الحلاج وأشباهه وحبس واستقر في دمشق وتوفي فيها سنة ٦٣٨هـ. وهو كما يقول الذهبي: قدوة القائلين بوحدة الوجود، وقد أفرط في التصنيف ومنها «الفتوحات المكية» و«فصوص الحكم» وقال الذهبي أيضًا في ترجمته من كتاب (ميزان الاعتدال) ٣/٦٦٠: من أمعن النظر في (فصوص الحكم) كتاب لابن عربي أو أمعن التأمل لاح له العجب فإن الذكي إذا تأمل من ذلك الأقوال والنظائر والأشباه فهو أحد رجلين: إما من الاتحادية في الباطن، وإما من المؤمنين بالله الذين يعدون أن هذه النحلة من أكفر الكفر نسأل الله العفو. انظر الأعلام ٦/٢٨١، وميزان الاعتدال ٣/٦٥٩ ولسان الميزان ٥/٣٥٢.

وممـا يأمـرون به الجـوع والسهر والصمت مع الخلوة بلا حدود شرعية، بل سهر مطلق وجوع مطلق، وصمت مطلق مع الخلوة، كما ذكر ذلك ابن عربي وغيره، ويذكر لهم أحوالاً شيطانية. وأبو طالب[1] قد ذكر بعض ذلك، ولكن أبو طالب أكثـر (اعتصامًا)[2] بالكتاب والسنة من هؤلاء، ولكن يذكر أحاديث كثيرة ضعيفة، من جنس أحاديث المسبعات الذي رواها عن الخضر عن النبي، ﷺ، وهو كذب محض وإن كان ليس فيه إلا قراءة قرآن، ويذكـر أحيانًا عبارات بدعية من جنس ما بالغ في مدح الجوع هو وأبو حامد وغيرهما، وذكروا أنه يزن الخبز بخشب رطب. كلما جف نقص الأكل.

وذكـروا صلوات الأيام والليالي، وكلها كذب موضوعة،

---

(١) هو محمد بن علي بن عطية الواعظ، كان مجتهدًا في العبادة، وصاحب كتاب (قوت القلوب) قال الخطيب: ذكر في القوت أشياء منكرة في الصفات، وعظ ببغـداد وخلط في الكـلام، مات سنة (٣٨٦هـ) وذكره النديم في مصنفي المعتزلة، ومن منكراته ما ذكره الذهبي في ميزان الاعتدال ٣/٦٥٥ عن أبي طاهر العلاف: (ليس على المخلوقين أضر على الخالق فبدعوه وهجروه انظر: ميزان الاعتدال ٣/٦٥٥ لسان الميزان ٥/٣٣٩، وفيات الأعيان ٤/٣٠٣ تاريخ بغداد ٣/٨٩.

تنبيه: والمـترجم له آنفـا قد يختلط على البعض بمحمـد بن علي بن عطية الحموي الشافعي واعظ متصوف من أهل حماة بسورية فقد توفي الثاني سنة (٩٥٤هـ)، انظر الأعلام ٦/٢٩١ وهدية العارفين ٦/٢٤١.

(٢) وفي الأصل اعتراضًا وما أثبتناه من نسخة (ب).

ولهذا قد يذكرون مع ذلك شيئًا من الخيالات الفاسدة، وليس هذا موضوع بسط ذلك[1].

وإنما الغرض التنبيه بهذا على جنس من العبادات البدعية وهي الخلوات البدعية سواء قدرت بزمان أو لم تقدر، لما فيها من العبادات البدعية وأما التي جنسها مشروع ولكن غير مقدرة. وأما ما كان جنسه غير مشروع.

فأما الخلوة والعزلة والانفراد المشروع فهو ما كان مأمورًا به أمر إيجاب أو استحباب، فالأول كاعتزال (الأمور المحرمة ومجانبتها)[2] كما قال تعالى: **﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره﴾**[3]. ومنها قوله تعالى عن الخليل: **﴿فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب، وكلًّا جعلنا نبيا﴾**[4]. وقوله عن أهل الكهف: **﴿وإذا اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف﴾**[5]. فإن أولئك لم يكونوا في مكان فيه

---

(١) من هذه الكتب التي حوت ذلك كتاب (دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي المختار) المنسوب للشيخ محمد بن سليمان الجزولي المتوفى سنة (٨٥٤هـ).

(٢) زيادة من (ب).

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٦٨.

(٤) سورة مريم، الآية: ٤٩.

(٥) سورة الكهف، الآية: ١٦.

جمعـة ولا جماعـة، ولا من يأمـر بشرع نبي فلهذا أووا إلى الكهف فقد قال موسى: ﴿وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون﴾[1].

وأما اعتزال (الناس)[2] في فضول المباحات وما لا ينفع، وذلك بالزهد فيه فهو مستحب وقد قال طاووس: نعم صومعة الرجل بيته يكف فيه بصره وسمعه.

وإذا أراد الإنسـان تحقيق علم وعمـل فتخـلى في بعض الأماكن مع محافظته على الجمعة والجماعة، فهذا حق كما في الصحيحين (أن النبي ﷺ، سئل: أي الناس أفضل؟ فقال: رجل آخذ بعنان فرسه في سبيل الله كلما سمع هيعة طار إليها (يتبع الموت مظانه)[3]، ورجل معتزل في شعب من الشعاب يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ولا يدع الناس إلا في خير)[4].

---

(١) سورة الدخان، الآية: ٢١.

(٢) زيادة من (ب).

(٣) زيادة من (ب).

(٤) رواه مسلم في الإمارة باب فضل الجهاد والرباط ١٣/٣٤، وأحمد ٢/٤٤٣، وابن ماجه في الفتن باب العزلة ٢/١٣١٦ كلهم من طريق بعجة عن أبي هريرة مرفوعًا بنحوه. وفي الباب عن أبي سعيد الخدري، رواه البخاري في الجهـاد. باب أفضـل الناس مؤمن ٦/٨ وابن ماجه في الفتن باب العزلة ٢/١٣١٦ وعن ابن عباس رواه أحمد ١/٢٣٧. والنسائي في الزكاة باب: من سأل بالله ولا يعطى به ٥/٨٣ والدارمي في الجهاد باب أفضل الناس رجل ٢/٢٠١ والهيعة: الصوت الذي تفزع منه، وتخافه من عدو، (النهاية).

وقوله: (يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة)[1] دليل على أن له مالاً يزكيه، وهو ساكن مع ناس يؤذن بينهم وتقام الصلاة، فقد قال صلوات الله عليه: (ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة (جماعة)[2] إلا وقد استحوذ عليهم الشيطان).

وقال: (عليكم بالجماعة فإنما يأخذ الذئب القاصية من الغنم)[3].

---

(١)، (٢) زيادة من (ب).

(٣) رواه أحمد ١٩٦/٥، ٤٤٦/٦. وأبو داود في الصلاة باب التشديد في ترك الجماعة ١٥٠/١، والنسائي في القبلة باب التشديد في ترك الجماعة ١٠٦/٢، وابن حبان في الصلاة. باب فرض الجماعة ٤٥٧/٥، والبيهقي في الصلاة باب: فرض الجماعة في غير الجمعة ٥٤/٣ كلهم من طريق زائدة عن السائب بن حبيش عن معدان بن أبي طلحة عن أبي الدرداء مرفوعًا به دون قوله (من الغنم) وإسناده حسن.

فصـــل

وهذه الخلوات قد يقصد أصحابها الأماكن التي ليس فيها أذان ولا إقامة ولا مسجد يصلى فيه الصلوات الخمس، إما مساجد مهجورة وإما غير مساجد: مثل الكهوف والغيران التي في الجبال، ومثل المقابر لا سيما قبر من يحسن به الظن ومثل المواضع التي يقال ان بها أثر نبي أو رجل صالح ، ولهذا يحصل لهم في هذه المواضع أحوال شيطانية، يظنون أنها كرامات رحمانية.

فمنهم من يرى أن صاحب القبر قد جاء إليه وقد مات من سنين كثيرة ويقول: أنا فلان، وربما قال له: نحن إذا وضعنا في القبر خرجنا كما جرى للتونسي مع نعمان السلامي، والشياطين كثيراً ما يتصورون بصورة الإنس في اليقظة والمنام وقد تأتي لمن لا يعرف فتقول: أنا الشيخ فلان أو العالم فلان، وربما قالت: أنا أبو بكر وعمر، وربما أتى في اليقظة دون المنام وقالت: أنا المسيح، أنا موسى، أنا محمد، وقد جرى مثل ذلك أنواع أعرفها وثم من يصدق بأن الأنبياء يأتون في اليقظة في صورهم، وثم شيوخ لهم زهد وعلم ودين يصدقون بمثل هذا.

ومن هؤلاء من يظن أنه يأتي إل قبر نبي وأن النبي يخرج من قبره في صورته فيكلمه. ومن هؤلاء من رأى في دائر

الكعبة شيخ قال: إنه إبراهيم الخليل ومنهم من يظن أن النبي ﷺ، خرج من الحجرة وكلّمه. وجعلوا هذا من كراماته، ومنهم من يعتقد أنه سأل المقبور فأجابه.

وبعضهم كان يحكي: أن ابن منده[1] كان إذا أشكل عليه حديث جاء إلى الحجرة النبوية ودخل فسأل النبي ﷺ، فأجابه. وآخر من أهل المغرب حصل له مثل ذلك وجعل ذلك من كراماته، قال ابن عبدالبر لمن ظن ذلك: ويحك أترى هذا أفضل من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار! فهل من هؤلاء من سأل النبي ﷺ، (بعد الموت)[2] وأجابه! وقد تنازع الصحابة في أشياء، فهلا سألوه فأجابهم، وهذه ابنته فاطمة تنازع في ميراثه فهلا سألته فأجابها؟

---

(١) هو الحافظ العالم المسند أبو زكريا يحيى بن عبدالوهاب بن محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى العبدي الأصبهاني، حافظ للحديث من بيت علم وفضل مشهور في أصبهان، ولد سنة ٤٣٤هـ، وكان جليل القدر وافر الفضل واسع الرواية، كثير التصانيف شيخ الحنابلة ومقدمهم، حسن السيرة وتوفي سنة ٥١١هـ.

أما ما حكي عنه هنا فإنه مخالف لما جاء في ترجمته، راجع ترجمته في: تذكرة الحفاظ ٤/١٢٥٠، وفيات الأعيان ٦/١٦٨، وذيل تاريخ بغداد ١٦/٢٥٦، والأعلام ٨/١٥٦.

(٢) زيادة من (ب).

فصـــل

والأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين قد أمرنا أن نؤمن بما أوتوه، وأن نقتدي بهداهم، قال تعالى: ﴿**قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى، وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون**﴾[(١)]. وقال تعالى: ﴿**أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده**﴾[(٢)]. ومحمد ﷺ، خاتم النبيين لا نبي بعـده، وقد نسخ بشرعه ما نسخه من شرع غيره، فلم يبق طريق إلى الله إلا باتباع محمد ﷺ، فيما أمر به من العبادات أمر إيجاب أو استحباب فهو مشروع وما رغب فيه وذكر ثوابه وفضله.

ولا يجوز أن يقال إن هذا مستحب أو مشروع إلا بدليل شرعي ولا يجوز أن تثبت شريعة بحديث ضعيف، لكن إذا ثبت أن العمـل مستحب بدليل شرعي، وروى له فضائل بأسانيد ضعيفة جاز أن يروى إذا لم يعلم أنها كذب، وذلك أن مقادير الثواب غير معلومة، فإذا روي في مقدار الثواب حديث لا يعـرف أنه كذب لم يجز أن نكذب به، وهذا هو الـذي كان الإمام أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه وغيره

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٣٦.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٩٠.

يرخصون فيه، وفي روايات أحاديث الفضائل.

وأما أن يثبتوا أن هذا عمل مستحب مشروع بحديث ضعيف فحاشا لله كما أنهم إذا عرفوا أن الحديث كذب فإنهم لم يكونوا يستحبون روايته إلا أن يثبتوا أنه كذب لقول النبي ﷺ، في الحديث الصحيح: (من روى عني حديثًا يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين)[1].

وما فعله النبي ﷺ، على وجه التعبد فهو عبادة يشرع (التأسي)[2] به فيه فإذا تخصص زمان أو مكان بعبادة كان تخصيصه بتلك العبادة سنة كتخصيصه العشر الأواخر بالاعتكاف فيها وكتخصيصه مقام إبراهيم بالصلاة فيه فالتأسي به أن يفعل مثل ما فعل، على الوجه الذي فعل، لأنه فعل.

---

(١) رواه الإمام أحمد ١٤/٥. وابن ماجه في المقدمة باب من حدث عن رسول الله حديثًا ١/١٥ ومسلم في المقدمة ١/٦٢ وابن حبان في المقدمة باب الاعتصام بالسنة ١/٢١٢ كلهم من طريق الحكم عن ابن أبي ليلى عن سمرة. وفي الباب عن علي والمغيرة بن شعبة.

«فائدة»:

يُرى: بضم الياء ومعناه يظن. وجوز بعض الأئمة فتحها ومعناه: يعلم.

* الكاذبين: فيها روايتان: بفتح الباء على التثنية وبكسرها على الجمع وكلاهما صحيح.

(٢) زيادة من (ب).

وذلك إنما يكون بأن يقصد مثلما قصد، فإذا سافر لحج أو عمرة أو جهاد وسافرنا كذلك كنا متبعين له، وكذلك إذا ضرب لإقامة حد، بخلاف من شاركوه وكان قصد غير قصده أو شاركه في الضرب وكان قصده غير قصده، فهذا ليس بمتابع له، ولو فعل بحكم الاتفاق مثل نزوله في السفر بمكان، أو أن يفضل في اداوته[1] ماء فصبه في أصل شجرة، أو أن تمشي راحلته في أحد جانبي الطريق ونحو ذلك، فهل تستحب متابعته في ذلك؟ كان ابن عمر يحب أن يفعل مثل ذلك.

وأما الخلفاء الراشدون وجمهور الصحابة فلم يستحبوا ذلك، لأن هذا ليس بمتابعة له إذ المتابعة لابد فيها من القصد، فإذا لم يقصد هو ذلك الفعل بل حصل له بحكم الاتفاق كان من قصده غير متابع له، وابن عمر رحمه الله يقول: وان لم نقصده، لكن نفس فعله حسن على أي وجه كان، فأحب أن أفعل مثله، إما لأن ذلك زيادة في محبته وإما لبركة مشابهته له.

ومن هذا الباب إخراج التمر في صدقة الفطر لمن ليس ذلك قوته، وأحمد قد وافق ابن عمر على ذلك، ويرخص في

---

(١) الاداوة: بالكسر إناء صغير من جلد يتخذ للماء كالسطيحة ونحوها. وجمعها أداوى.

مثل ذلك ما فعله ابن عمر وكذلك أرخص أحمد في التمسح بمقعده في المنبر اتباعًا لابن عمر[1]، وعن أحمد في التمسح بالمنبر روايتان أشهرهما: أنه مكروه كقول الجمهور، وأما مالك وغيره من العلماء فيكرهون هذه الأمور وإن فعلها ابن عمر فإن أكابر الصحابة، كأبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم لم يفعلها. فقد ثبت بالإسناد الصحيح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان في السفر فرآهم ينتابون مكانًا يصلون فيه فقال: ما هذا؟ قالوا: مكان صلى فيه رسول الله ﷺ. فقال: أتريدون أن تتخذوا آثار أنبيائكم مساجد؟! إنما هلك من كان قبلكم بهذا فمن أدركته فيه الصلاة صلى فيه وإلا فليمض[2].

وهكذا للناس قولان فيما فعله من المباحات على غير وجه القصد، هل متابعته فيه مباحة فقط أو مستحبة؟ على قولين في مذهب أحمد وغيره كما قد بسط ذلك في موضعه ولم يكن ابن عمر ولا أحد من الصحابة يقصدون الأماكن التي كان ينزل فيها ويبيت فيها مثل بيوت أزواجه، ومثل مواضع نزوله

---

(١) جاء ما ورد عن ابن عمر بالتمسح في مقعد رسول الله ﷺ من طريق إبراهيم بن عبدالرحمن بن عبدالقارىء ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٢/ ١١٠ ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلاً فهو مجهول.

(٢) روى ابن أبي شيبة في المصنف ٢/ ١٢٥ عن عمر بنحوه وإسناده صحيح.

في مغازيه، إنما كان الكلام في مشابهته في صورة الفعل فقط، وإن كان هو لم يقصد التعبد به، فأما الأمكنة نفسها فالصحابة متفقون على أنه لا يعظم فيها إلا ما عظمه الشارع.

فصـــل

وأمـا قصـد الصلاة والدعاء والعبادة (في مكان لم يقصد الأنبياء فيه الصلاة والعبادة)[1] بل روى أنهم مروا به، أو نزلوا فيه، أو سكنوه فهذا كما تقدم لم يكن ابن عمر ولا غيره يفعله فإنه ليس فيه متابعتهم لا في عمل عملوه، ولا قصد قصدوه، ومعلوم أن الأمكنة التي كان النبي ﷺ، يحل فيها إما في سفره وإما في مقامه، مثل طرقه في حجه وغزواته ومنازله في أسفاره، ومثـل بيوتـه التي كان يسكنهـا والبيوت التي كان يأتي إليهـا أحيانًا(*) من بيوت أصحابه والمنازل التي كان ينزل فيها مثل نزوله لما حاصر قريظة والنضير وبقاع معروفة عند الصحابة والتابعين، فلو كانوا يقصدون اتيان هذه البقاع للصلاة فيها والدعاء ونحو ذلك، لكان هذا ظاهرًا بينهم، بل لم يكن فيهم من يفعـل ذلك، وأبلغ من ذلك إذا رأى أحدهم في المنام بمكان أن يقصد الصلاة والدعاء والعبادة في ذلك المكان فهذا

---

(١) هذه الزيادة لا يتم المعنى إلا بها وهي من (ب).

(*) النص المحصـور بين نجمتـين إنـما سقط من المـطبوع (مجموعة الفتاوى) ومجمـوعـة الـرسائل والمسائل للشيخ محمد رشيد رضا، وأيضًا من مطبوعة الأستاذ بدر بن عبدالله البدر وقد أثبتنا هذا السقط من النسختين الخطيتين اللتين اعتمدناهما، وقد أشرنا إلى ذلك في المقدمة وأثبتنا صورة لهذا السقط من (أ و ب).

لم يفعله أحـد من السلف وهـذا مثل أن يريد شخص كل مكان مر به النبي ﷺ، أو نزل فيه أن يصلي فيه ويدعو مثل أن يقصد جميع حجر نسائه فيصلي في كل حجرة ويدعو لما كانت الحجرة باقية لم تدخل في المسجد. أو يقصد منزله في حصاره قريظه والنضير والخندق فيصلي فيه ويدعو، أو يقصد دور الأنصار التي قيل انه دخلها فيصلي فيها ويدعو أو يقصد الدار التي قيل انه ولد فيها، أو دار الأرقم التي كان فيها لما نزلت عليه سورة المرسلات أو مكان البيعة الذي بايع فيها أصحابه خلف العقبة، أو يقصد أماكن يقال انه اجتاز بها إبراهيم الخليل، مثل مكان بحران، ومكان بحلب، ومكان بدمشق، أو أماكن يقال انه كان بها عيسى ابن مريم، مثل ربوة بدمشق، أو بيت المقدس أو بمصر أو غار قيل انه كان به نبي أو قتل به نبي مثل غار بجبل قاسيون[1] يقال أنه (قتل فيه)[2] قابيل فهذه المواضع التي يقال أنه مر بها نبي أو نزل بها نبي من غير أن يقصد النبي العبادة بها، هذا لم يعرف عن أحـد من الصحـابـة أنـه كان يقصـد هذه البقـاع للصلاة والدعاء، بل قد نقل أن أقوامًا قصدوا الشجرة التي بايع النبي

---

(١) قاسيون: بالفتح وسين مهملة والياء تحتها نقطتان مضمومة وآخره نون وهو الجبل المشرف على مدينة دمشق فيه عدة مغاور وكهوف وقد بنى المقادسة رحمهم الله فيه مسجدًا يقال له مسجد الحنابلة.

(٢) ساقطة من نسخة أ، ب ولا يتم المعنى إلا به.

ﷺ، أصحابه تحتها، فأمر بها عمر رضي الله عنه فقطعت.

وكذلك بناء المساجد على هذه الباقع من غير أن يكون هناك جماعة يصلون فيه الصوات الخمس، بل تبنى لصلاة من يزور تلك البقعة، هذا لم يكن على عهد الصحابة، بل عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد نهى أن تقصد الصلاة في (المكان الذي صلى فيه)[1] النبي ﷺ، لكونه لم يقصد الصلاة فيه لخصوصه، بل صلى فيه لكونه كان نازلاً فيه بحكم الاتفاق فكان اتباع سنته ﷺ، أن يصلي الرجل في أي مكان، كان نازلاً فيه، لأنه إذا نزل منزلاً صلى فيه، فأما أن يقصد الصلاة في من ليس هو منزله فهذا الذي كرهه عمر رضي الله عنه، ونهى الناس عنه فإنه مخالفة، ليس بمتابعة له، فكيف إذا كان المكان إنما مر به أو نزل به، أو سكنه وقد ثبت من غير وجه (لعن الله الذين اتخذوا قبور أنبيائهم وصلحائهم مساجد يحذر عنه ما فعلوا)[2]. وفي الصحيح: (لعن الله

---

(١) زيادة من (ب).

(٢) رواه البخاري في الأنبياء باب ما ذكر عن بني إسرائيل ٦/ ٥٧٠. وفي الجنائز باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور ٣/ ٢٣٨. وفي المغازي باب مرض النبي ﷺ، ٧/ ٢٤٦. بغير لفظ وصالحيهم في جميع المواضع. ومسلم في المساجد باب: النهي عن بناء المسجد على القبور ٥/ ١٢ ـ ١٣ وعنده (وصالحهم). وأحمد ١/ ٢١٨، ٦/ ٣٤ ـ ٢٢٩. كلهم من حديث عائشة وعبدالله بن عباس. وفي الباب من حديث أبي هريرة رواه أحمد ٢/ ٢٨٤ =

اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)[1].

وفي الصحيح أيضًا عنه قال قبل أن يموت بخمس: (إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ألا(*) فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك)[2].

فهذه نصوصه الصريحة توجب تحريم اتخاذ قبورهم مساجد مع أنهم مدفونون فيها وهم أحياء في قبورهم[3]، ويستحب

= ٢٨٥، ٣٦٦، ٣٩٦، ٤٥٤، ٥١٨، والنسائي في الجنائز. باب: اتخاذ القبور مساجد ٤/٩٦، وأبو داود في الجنائز باب البناء على القبر ٣/٢١٦ وعن زيد بن ثابت رواه أحمد ٥/١٨٤، ١٨٦ وعن أسامة بن زيد عند أحمد ٥/٢٠٤ وعن عائشة عند أحمد ٦/٨٠، ١٢١، ١٤٦، ٢٢٩، ٢٥٢، ٢٥٥، ٢٧٤، ٢٧٥، والنسائي في الجنائز باب اتخاذ القبر مساجد ٤/٩٥.

(١) تقدم تخريجه.

(*) إلى هنا انتهى السقط.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) لعل شيخ الإسلام أراد أن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء فقد روى الإمام أحمد في مسنده ٤/٨ عن أوس بن أبي أوس قال: قال رسول الله ﷺ: (من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا علي من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة علي) فقالوا: يا رسول الله وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرمت. يعني وقد بليت قال: إن الله عز وجل حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء صلوات الله عليهم. وأبو داود في الصلاة، باب فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة ١/٢٧٥، والنسائي في الجمعة باب إكثار الصلاة على النبي ﷺ، يوم الجمعة ٣/٩١، وابن ماجه في إقامة الصلاة ١/٣٤٥، والدارمي في =

إتيان قبـورهم للتسليم عليهم ومع هذا يحرم إتيانها للصلاة عنـدهـا، واتخاذها مساجد، ومعلوم أن هذا النهي عنه لأنه ذريعة إلى الشرك، وأرى أن تكون المساجد خالصة لله تعالى، تبنى لأجـل عبـادته فقط لا يشركه في ذلك مخلوق فإذا بني المسجد لأجل ميت كان حرامًا، فكذلك إذا كان لأثر آخر فإن الشرك في المـوضعـين حاصل، ولهذا كانت النصارى يبنون الكنائس على قبر النبي والرجل الصالح، وعلى أثره وباسمه وهو الذي خاف عمر رضي الله عنه أن يقع فيه المسلمون، وهـو الذي قصد النبي ﷺ، منع أمته منه قال الله تعالى: ﴿**وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدًا**﴾[1]. وقال تعالى: ﴿**قـل أمـر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعـوه مخلصـين له الـدين**﴾[2]. وقـال تعـالى: ﴿**مـا كان**

= الصلاة باب في فضل الجمعة ١/ ٣٦٩ وهو صحيح. وأما ما ورد في مسلم عن أنس أن النبي ﷺ، قال: (رأيت موسى ليلة أسري بي قائمًا يصلي في قبره) فهذه الحياة البرزخية التي امتن الله بها على أنبيائه فهي حياة خاصة بهم ليست كالحياة التي نعرفها، وهكذا منهج المسلم وموقفه مما ثبت عن النبي ﷺ، أن نؤمن به إيمانًا دون زيادة عليه بالأقيسة والآراء كما يفعل أهل البدع الذين وصل الأمر ببعضهم إلى ادعاء أن حياته ﷺ، في قبره حياة حقيقية، والحق أنها حياة برزخية لا يعلم حقيقتها إلا الله سبحانه وتعالى.

(١) سورة الجن، الآية: ١٨.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٩.

للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون. إنما يعمر مساجد الله من آمن باليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين﴾[1]. لو كان هذا مستحبًا لكان يستحب للصحابة والتابعين أن تصلي في جميع حجر أزواجه وفي كل مكان نزل فيه في غزواته أو أسفاره، ولكان يستحب أن يبنوا هناك مساجد ولم يفعل السلف شيئًا من ذلك، ولم يشرع الله تعالى للمسلمين مكانًا يقصد للصلاة إلا المسجد، ولا مكانًا يقصد للعبادة إلا المشاعر، فمشاعر الحج كعرفة ومزدلفة ومنى تقصد للعبادة والذكر والدعاء والتكبير لا للصلاة بخلاف المساجد فإنها هي التي تقصد للصلاة، وما ثم مكان يقصد بعينه إلا المساجد والمشاعر، وفيها الصلاة والنسك، قال تعالى: **﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت﴾**[2]. وما سوى ذلك (من البقاع)[3] فإنه لا يستحب قصد بقعة بعينها للصلاة ولا الدعاء ولا الذكر إذا لم يكن شرع الله ورسوله قصدها لذلك، وإن كان مسكنًا لنبي أو منزلاً أو ممرًا فإن الدين أصله متابعة النبي ﷺ، وموافقته

---

(١) سورة التوبة، الآيتان: ١٧، ١٨.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٦٢.

(٣) زيادة من (ب).

بفعل ما أمرنا به وشرعه لنا، وسنه لنا ونقتدي به في أفعاله التي شرع لنا الاقتداء به فيها بخلاف ما كان من خصائصه، فأما الفعل الذي لم يشرعه هو لنا ولا أمرنا به ولا فعله فعلاً سن لنا أن نتأسى به فيه فهذا ليس من العبادات والقرب، فاتخاذ هذا قربة مخالفة له ﷺ، وما فعله من المباحات على غير وجه التعبـد يجوز لنا أن نفعله مباحًا كما فعله مباحًا، ولكن هل يشرع لنا أن نجعله عبادة وقربة، فيه قولان كما تقدم، وأكثر السلف والعلماء على ألا نجعله عبادة وقربة بل نتبعه فيه فإن فعله مباحًا فعلناه مباحًا وإن كان فعله قربة فعلناه قربة، ومن جعله عبادة رأى أن ذلك من تمام التأسي والتشبه به ورأى أن في ذلك بركة لكونه مختصًا به نوع اختصاص.

فصـــل

وأهـــل «العبـــادات البـــدعية» يزين لهم الشيطان تلك العبادات ويبغض لهم السبل الشرعية حتى يبغضهم في العلم والقـرآن والحـديث، فلا يحبـون سماع القـرآن والحديث ولا ذكره، وقد يبغض إليهم جنس الكتاب فلا يحبون كتابًا ولا من معه كتاب، ولو كان مصحفًا أو حديثًا، كما حكى النصر أبـادي[1] أنهم كانوا يقولون: يدع علم الخرق ويأخذ علم الورق، وقال: وكنت أستر ألواحي منهم، فلما كبرت احتاجوا إلى علمي.

وكذلك حكى السري السقطي[2]: أن واحدًا منهم دخل عليه فلما رأى عنده محبرة وقلمًا خرج ولم يقعد عنده، ولهذا قال

---

(١) هو الإمام المحدث القدوة الواعظ أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن أحمد بن محمـوية الخـراساني النيسابوري الصوفي، من أقواله: رؤية أعذار الخلق، والمداومة على الأوراد، وترك الرخص. مات بمكة سنة سبع وستين وثلاثمائة، رحمه الله تعالى. انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ١٦/٢٦٣ تاريخ بغداد ٦/١٦٩.

(٢) هو السري بن المغلس السقـطي الإمـام القدوة شيخ الإسلام أبو الحسن البغدادي، ولد في حدود الستين ومائة، من أقواله لا تصحب الأشرار، ولا تشتغلن عن الله بمجالسة الأخيار، توفي سنة ثلاث وخمسين ومائتين. انظر سير أعلام النبلاء ١٢/١٨٥، حلية الأولياء ١٠/٦ تاريخ بغداد ٩/١٨٧، لسان الميزان ٣/١٨.

سهل بن عبدالله التستري[1]: يا معشر الصوفية لا تفارقوا السواد على البياض، فما فارق أحد السواد على البياض[2] إلا تزندق. وقال الجنيد[3]: علمنا هذا مبني على الكتاب والسنة، فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى به في هذا الشأن.

وكثير من هؤلاء يتطير[4] بمن يذكر الشرع أو القرآن أو يكون معه كتاب أو يكتب، وذلك لأنهم استشعروا أن هذا الجنس فيه ما يخالف طريقهم، فصارت شياطينهم تهربهم من

---

(١) سهل بن عبدالله بن يونس، شيخ العارفين أبو محمد التستري، له كلمات نافعة ومواعظ حسنة من كلامه: لا معين إلا الله، ولا دليل إلا رسول الله، ولا زاد إلا التقوى، ولا عمل إلا الصبر عليه وقال: من أراد الدنيا والآخرة فليكتب الحديث، فإن فيه منفعة الدنيا والآخرة، توفي سنة ثلاث وثمانين ومائتين. انظر سير أعلام النبلاء ١٣/٣٣٠، حلية الأولياء ١٠/١٨٩. وفيات الأعيان ٢/٤٢٩.

(٢) والمقصود بالسواد على البياض هو المداد والورق وهما من أدوات طلب العلم.

(٣) هو الجنيد بن محمد بن الجنيد النهاوندي ثم البغدادي القواريري الصوفي، ولد سنة نيف وعشرين ومائتين، كان كثير العبادة والأوراد، قال ابن الأثير في وصفه إمام الدنيا في زمانه، وعده العلماء شيخ مذهب التصوف لضبط مذهبه بقواعد الكتاب والسنة، توفي ببغداد سنة ٢٩٧هـ.
انظر سير أعلام النبلاء ١٤/٦٦، طبقات الشافعية ٢/٢٦٠ حلية الأولياء ١٠/٢٥٥، تاريخ بغداد ٧/٢٤١، الأعلام ٢/١٤١.

(٤) في الأصل ينظر والمثبت من (ب).

هذا كما يهرب اليهودي والنصراني من أن يسمع كلام المسلمين حتى لا يتغير اعتقاده في دينه. وكما كان قوم نوح يجعلون أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم لئلا يسمعوا كلامه ولا يروه. وقال الله تعالى عن المشركين: ﴿**وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون**﴾[1]. وقال تعالى: ﴿**فما لهم عن التذكرة معرضين، كأنهم حمرة مستنفرة، فرت من قسورة**﴾[2]. وهم من أرغب الناس في السماع البدعي سماع المعازف ومن أزهدهم في السماع الشرعي سماع آيات الله تعالى[3].

وكان مما زين لهم طريقهم أنهم وجدوا كثيراً من المشتغلين بالعلم والكتب معرضين عن عبادة الله تعالى وسلوك سبيله، إما اشتغالاً بالدنيا وإما بالمعاصي، إما جهلاً وتكذيبًا بما يحصل لأهل التأله والعبادة، فصار وجود هؤلاء مما ينفرهم، وصار بين الفريقين نوع تباغض يشبه من بعض الوجوه ما بين أهل الملتين: هؤلاء يقولون ليس هو على شيء. وهؤلاء يقولون ليس هو[4] على شيء وقد يظنون أنهم يحصل لهم بطريقهم

(١) سورة فصلت، الآية: ٢٦.

(٢) سورة المدثر، الآيات: ٤٩ ـ ٥١.

(٣) انظر في هذا الباب كلامًا نافعًا للإمام ابن تيمية في الفتاوى ١١/٥٥٧ وما بعدها.

(٤) وفي نسخة ب (هؤلاء).

أعظم مما حصل في الكتب.

فمنهم من يظن أنه يلقن القرآن بلا تلقين. ويحكون أن شخصًا حصل له ذلك وهذا كذب. نعم قد يكون سمع آيات الله فلما صفى نفسه تذكرها فتلاها. فإن الرياضة تصقل النفس فيذكر أشياء كان نسيها، ويقول بعضهم مما يحكى أن بعضهم قال: أخذوا علمهم ميتًا عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت، وهذا يقع، لكن منهم من يظن ما يلقى إليه من خطاب أو خاطر هو من الله تعالى بلا واسطة، قد يكون من الشيطان وليس عنده فرقان يفرق بين الرحماني والشيطاني، فإن الفرق الذي لا يخطىء هو القرآن والسنة فما وافق الكتاب والسنة فهو الصواب وما خالف فهو خطأ[1].

وقد قال الله تعالى: ﴿**ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانًا فهو له قرين وأنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون. حتى إذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين**﴾[2].

وذكر الرحمن هو ما أنزله على رسوله قال تعالى: ﴿**وهذا**

---

(١) انظر رسالة الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان للإمام ابن تيمية بتحقيق الشيخ عبدالقادر الأرناؤوط.

(٢) سورة الزخرف، الآيات: ٣٦ ـ ٣٨.

ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون﴾[1]. وقال تعالى: ﴿وما هو إلا ذكر للعالمين﴾[2]. قال تعالى: ﴿فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكًا، ونحشره يوم القيامة أعمى، قال رب لِمَ حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً، قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾[3].

وقال تعالى: ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرًا كبيراً. وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابًا أليمًا﴾[4]. وقال تعالى: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحًا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان، ولكن جعلناه نورًا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم. صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض، ألا إلى الله تصير الأمور﴾[5]. وقال تعالى: ﴿كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٥٠.

(٢) سورة القلم، الآية: ٥٢.

(٣) سورة طه، الآيات: ١٢٤ ـ ١٢٦.

(٤) سورة الإسراء، الآيتان: ٩، ١٠.

(٥) سورة الشورى، الآيتان: ٥٢، ٥٣.

الحميد﴾[1]. وقال تعالى: ﴿**فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون**﴾[2].

ثم إن هؤلاء لما ظنوا أن هذا يحصل لهم من الله بلا واسطة صاروا عند أنفسهم أعظم من أتباع الرسول. يقول أحدهم: فلان عطيته على يد محمد. وأنا عطيتي من الله بلا واسطة. ويقول أيضًا: فلان يأخذ عن الكتاب، وهذا الشيخ يأخذ عن الله، ومثل هذا.

وقول القائل: يأخذ عن الله وأعطاني الله لفظ جميل، فإن أراد به الإعطاء والأخذ العام وهو «الكوني الخلقي» أي: بمشيئة الله وقدرته حصل لي هذا فهو حق، ولكن جميع الناس يشاركونه في هذا، وذلك الذي أخذ عن الكتاب هو أيضًا عن الله أخذ بهذا الاعتبار، والكفار من المشركين وأهل الكتاب أيضًا هم كذلك، وإن أراد أن هذا الذي حصل لي هو مما يحبه الله ويرضاه ويقربه إليه، وهذا الخطاب الذي يلقى إلي هو كلام الله تعالى. فهنا طريقان:

(**أحدهما**): أن يقال له: من أين لك أن هذا (إنما هو من الله لا)[3] من الشيطان وإلقائه ووسوسته؟ فإن الشياطين يوحون إلى أوليائهم ليجادلوهم ﴿**وإن أطعتموهم إنكم**

(١) سورة إبراهيم آية: ١.

(٢) سورة الأعراف، آية: ١٥٧.

(٣) زيادة من (ب).

لمشركون﴾[1][2]. وينزلون عليهم، كما أخبر الله تعالى بذلك في القرآن، وهذا موجود كثيرًا في عباد المشركين، وأهل الكتاب وفي الكهان والسحرة ونحوهم وفي أهل البدع بحسب بدعتهم، فإن كانت هذه الأحوال قد تكون رحمانية وقد تكون شيطانية، فلابد من الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان والفرقان، إنما هو الفرقان الذي بعث الله به محمدًا ﷺ، فهو: ﴿الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا﴾[3]. وهو الذي فرق الله به بين الحق والباطل، بين الهدى والضلال، بين الرشاد والغي، وبين طريق الجنة وطريق النار، وبين سبيل أولياء الرحمن وسبيل أولياء الشيطان، كما قد بسط الكلام على هذا في غير هذا الموضع.

(والمقصود هنا) أن يقال لهم: إذا كان جنس هذه الأحوال مشتركًا بين أهل الحق وأهل الباطل فلابد من دليل يبين أن ما حصل لكم هو الحق.

(الثاني) أن يقال: بل هذا من الشيطان لأنه مخالف لما بعث الله به محمدًا ﷺ، وذلك أن ينظر فيما حصل له وإلى

---

(١) سورة الأنعام، آية: ١٢١.

(٢) ساقطة من (ب).

(٣) سورة الفرقان، الآية: ١.

سببه وإلى غايته فإن كان السبب عبادة غير شرعية مثل أن يقال له: اسجد لهذا الصنم حتى يحصل لك المراد واستشفع بصاحب هذه الصورة حتى يحصل لك المطلوب. أو ادع هذا المخلوق استغث به مثل أن يدعو الكواكب كما يذكرونه في كتب دعوة الكواكب، أو أن يدعو مخلوقًا كما يدعو الخالق سواء كان المخلوق ملكًا أو نبيًّا أو شيخًا، فإذا دعاه كما يدعو الخالق سبحانه إما دعاء عبادة وإما دعاء مسألة صار مشركًا به، فحينئذ ما حصل له بهذا السبب حصل بالشرك كما يحصل للمشركين.

وكانت الشياطين تتراءى لهم أحيانًا، وقد يخاطبونهم من الصنم ويخبرونهم ببعض الأمور الغائبة. أو يقضون لهم بعض الحوائج، فكانوا يبذلون لهم هذا النفع القليل بما اشتروه منهم من توحيدهم وإيمانهم الذي هلكوا بزواله كالسحر، قال الله تعالى: **﴿وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر، فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه، وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله، ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم، ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون﴾**[1].

وكذلك قد يكون سببه سماع المعازف وهذا كما يذكر عن

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٢.

عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قال: (اتقوا الخمر فإنها أم الخبائث، وإن رجلاً سأل امرأة فقالت: لا أفعل حتى تسجد لهذا الوثن، فقال: لا أشرك بالله شيئًا فقالت: أو تقتل هذا الصبي؟ فقال: لا أقتل النفس التي حرم الله، فقالت: أو تشرب هذا القدح؟ فقال: هذا أهون فلما شرب الخمر قتل الصبي. وسجد للوثن، وزنى بالمرأة[1].

(والمعازف) هي خمر النفوس، تفعل في النفوس أعظم مما تفعل حميا الكؤوس، فإذا سكروا بالأصوات حل فيهم الشرك ومالوا إلى الفواحش وإلى الظلم، فيشركون ويقتلون النفس التي حرمها الله ويزنون.

وهـذه الثـلاثة موجودة كثيرًا في أهل سماع المعازف سماع المكاء والتصدية أما الشرك فغالب عليهم بأن يحبوا شيخهم أو غيره مثل ما يحبون الله ويتواجدون على حبه.

وأما الفواحش فالغناء رقية الزنى وهو من أعظم الأسباب

---

(١) رواه عبدالرزاق في المصنف ٢٣٦/٩، والنسائي في الأشربة باب ذكر الآثام المتولدة عن شرب الخمر ٣١٥/٨، والبيهقي في السنن الكبرى في الأشربة باب ما جاء في تحريم الخمـر ٢٨٧/٨ كلهم من طريق الـزهري عن أبي بكـر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام عن أبيه قال: سمعت عثمان بن عفـان فذكـره موقوفًا عليه وقال ابن كثير في التفسير ٩٧/٢: وهذا إسناد صحيح. وقد ورد مرفوعًا رواه ابن أبي الدنيا في ذم المسكر وقال ابن كثير والزيلعي: والموقوف أصح، انظر نصب الراية ٢٩٧/٤.

لوقوع الفواحش، ويكون الرجل والصبي والمرأة في غاية العفة والحـرية حتى يحضره، فتنحـل نفسه وتسهل عليه الفاحشة ويميل لها فاعلاً أو مفعولاً به أو كلاهما كما يحصل من شراب الخمر وأكثر.

وأما القتل فإن قتل بعضهم بعضًا في السماع كثير يقولون: قتله بحاله ويعدون هذا من قوته، وذلك أن معهم شياطين تحضرهم فأيهم كانت شياطينـه أقـوى قتـل الآخر، كالذين يشربـون الخمر ومعهم أعوان لهم فإذا شربوا عربدوا فأيهم كانت أعـوانـه أقوى قتل الآخر، وقد جرى مثل هذا لكثير منهم، ومنهم من يقتـل إمـا شخصًـا وإمـا فرسًا وغير ذلك بحاله، ثم يقوم صاحب الثأر ويستغيث بشيخه فيقتل ذلك الشخص وجمـاعـة معه: إما عشرة، وإما أقل أو أكثر. كما جرى مثل هذا لغير واحد. وكان الجهال يحسبون أن هذا في باب (الكرامات).

فلما تبين لهم أن هذه أحوال شيطانية، وأن هؤلاء معهم شياطين تعينهم على الإثم والعدوان عرف ذلك من بصره الله تعالى وانكشف التلبيس والغش الذي كان لهؤلاء.

وكنت في أواخر عمري حضرت مع جماعة من أهل الزهد والعبـادة والإرادة فكـانـوا من خيار أهل هذه الطبقة. فبتنا بمكان وأرادوا أن يقيموا سماعًا وأن أحضر معهم فامتنعت من

ذلك فجعلوا لي مكانًا منفردًا قعدت فيه، فلما سمعوا وحصل الـوجـد والحـال صار الشيخ الكبير يهتف بي في حال وجده ويقول: يا فلان قد جاءك نصيب عظيم تعال خذ نصيبك، فقلت في نفسي ثم أظهرته لهم لما اجتمعنا: أنتم في حل من هذا النصيب فكل نصيب لا يأتي على محمد بن عبدالله فإني لا آكل منه شيئًا. وتبين لبعض من كان منهم ممن له معرفة وعلم أنه كان معهم الشياطين، وكان فيهم من هو سكران بالخمر.

والذي قلته معناه أن هذا النصيب وهذه العطية والموهبة والحال سببها غير شرعي، ليس هو طاعة لله ورسوله. فهو مثل من يقول: تعال اشرب معنا الخمر ونحن نعطيك هذا المال، أو عظم هذا الصنم ونحن نوليك هذه الولاية ونحو ذلك.

وقد يكون سببه نذرًا لغير الله سبحانه وتعالى: مثل أن ينذر لصنم أو كنيسـة، أو قبر أو نجم، أو شيخ ونحو ذلك من النذور التي فيها شرك، فإذا أشرك بالنذر فقد يعطيه الشيطان بعض حوائجه كما تقدم في السحر.

وهذا بخلاف النذر لله تعالى فإنه ثبت في الصحيحين عن ابن عمر عن النبي ﷺ، أنه نهى عن النذر وقال: (إنه لا يأتي

بخير وإنما يستخرج به من البخيل)[1]. وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ، نحوه[2]. وفي رواية: (لأن النذر يلقي ابن آدم إلى القدر)[3] فهذا المنهي عنه هو النذر الذي يجب الوفاء به ينهي عن عقده، ولكن إذا كان قد عقد فعليه الوفاء به، كما في صحيح البخاري عن النبي ﷺ، أنه قال: (من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه)[4].

وإنما نهى عنه ﷺ، لأنه لا فائدة فيه إلا التزام ما التزمه وقد لا يوفى به فيبقى آثماً، وإذا فعل تلك العبادات بلا نذر كان خيراً له، والناس يقصدون بالنذر تحصيل مطالبهم، فبين النبي ﷺ، أن النذر لا يأتي بخير، فليس النذر سبباً في حصول مطالبهم، وذلك أن الناذر إذا قال: لله علي ان حفظني الله القرآن أن أصوم ثلاثة أيام، أو إن عافاني الله من هذا المرض، أو إن دفع الله هذا العدو، أو إن قضى عني هذا

(١) رواه البخاري في الأيمان والنذور باب الوفاء بالنذور ١١/٥٨٤ ومسلم في النذر ١١/٩٧ كلاهما من حديث ابن عمر.

(٢) رواه البخاري في الأيمان والنذور باب الوفاء بالنذر ١١/٥٨٤ ومسلم في النذر ١١/٩٨ وأحمد ٢/٤١٢ كلهم من حديث أبي هريرة.

(٣) هو من رواية أبي هريرة عند البخاري ومسلم.

(٤) رواه البخاري في الأيمان والنذور باب النذر في الطاعة ١١/٥٨٩، وأحمد ٦/٣٦ و٤١ و٢٢٤ كلهم من حديث عائشة.

الدين فعلت كذا، فقد جعل العبادة التي التزمها عوضًا عن ذلـك المطلوب. والله سبحانه وتعالى لا يقضي تلك الحاجة لمجـرد تلك العبـادة المنـذورة، بل ينعم على عبـده بذلـك المطلوب ليبتليه أيشكر أم يكفر؟ وشكره يكون بفعل ما أمره به وترك ما نهاه عنه.

وأما تلك العبادة المنذورة فلا تقوم بشكر تلك النعمة، ولا ينعم الله تلك النعمة ليعبده العبد تلك العبادة المنذورة التي كانت مستحبة فصارت واجبة، لأنه سبحانه لم يوجب تلك العبـادة ابتداء بل هو يرضى من العبد بأن يؤدي الفرائض ويتجنب المحارم، ولكن هذا الناذر يكون قد ضيع كثيرًا من حقـوق الله ثم بذل لك النـذر لأجـل تلك النعمة، وتلك النعمة أجل من أن ينعم الله بها لمجرد ذلك المنذور المحتقر. وإن كان المبذول كثيرًا والعبد مطيع لله فهو أكرم على الله من أن يحوجه إلى ذلك المبذول الكثير، فليس النذر سببًا لحصول مطلوب، كالـدعاء فإن الدعاء من أعظم الأسباب وكذلك الصدقة وغيرها من العبادات جعلها الله تعالى سببًا لحصول الخير ودفع الشر إذا فعلها العبد ابتداء، وأما ما يفعله على وجه النذر فإنه لا يجلب له منفعة ولا يدفع عنه مضرة، لكنه كان بخيلًا فلما نذر لزمه ذلك، فالله تعالى يستخرج بالنذر من البخيل، فيعطي على النذر مالم يكن يعطيه بدونه.

تمت قاعدة العبادات بحمد الله وعونه، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم النسخة المنسوخة منها عن نسخة عليها خط الشيخ شيخ الإسلام أحمد بن تيمية.

فهـــرس الموضوعـــات

الصفحـة